عين الحقيقة

رؤى وحلول

السيد محمد علي العلوي

عينُ الحقيقة

رؤى وحلول

السيد محمد علي العلوي

عين الحقيقة

رؤى وحلول

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م

هوية الكتاب:

❋ الكتاب : عين الحقيقة .. رؤى وحلول

❋ المؤلف: السيد محمد علي العلوي

❋ الطبعة الأولى : ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م

❋ تصميم وإخراج : البروج ميديا

❋ هاتف : +٩٧٣ ١٧ ٦٩٤٢٧١

❋ نقال : +٩٧٣ ٣٦٦١١٨٦٥

❋ البريد الإلكتروني : info@albrooj.net

❋ الموقع الإلكتروني : albrooj.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم
مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك
نستعين اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولا الضالين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

تمهيد

عن حسين الصيقل قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا يقبل اللهُ عملاً إلا بمعرفةٍ، ولا معرفةً إلا بعملٍ، فمن عَرفَ دَلَّتْهُ المعرفةُ على العملِ، وَمَنْ لم يَعْمَل فلا معرفة له، ألا إنَّ الإيمانَ بَعضُهُ مِنْ بَعض.[1]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: قيمة كل امرئٍ ما يحسنه.[2]

الإنسان مخلوقٌ حي مدرك وُجِدَ على هذه الأرض وفي داخل دائرة الزمن القاضية بتصرم لحظات حياته مع كل حركة زمنية لا تقربها حتى الفيمتو ثانية[3]، وبذلك فهو كإنسان باقٍ ضمن حركة زمنية قهرية تأخذه إلى حيث لا يعلم ابتداءً، وإنما علمه بالنظر كانت زكاته عند الدينيين دون غيرهم، وذلك من خلال كتبهم التي تخبرهم بمنتهى فيه حساب وكتاب وما إلى ذلك كما هو إيماننا الثابت الذي حتى لو انتفى عند آخرين فإن حقيقتي التصرم والسير الحتمي لا انتفاء لهما عند أحد مطلقًا.

هذا هو حال الإنسان الحي المدرك كما هو حال كل موجود داخل هذه الدائرة المخلوقة أيضًا..

وجود.. مادة.. جمود.. حياة.. نمو.. إحساس.. حركة.. إرادة.. إدراك...

منتهى..

أما الإنسان فيشترك مع غيره من المخلوقات في حيثية الوجود، ومع بعضها في بُعده المادي الجامد، ومع بعضٍ آخر في الحياة، ومع غيرهما في النمو، والإحساس،

١ - الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٤٤
٢ - نهج البلاغة - خطب الإمام علي (ع) - ج ٤ - ص ١٨
٣ - الفيمتو ثانية بالإنكليزية: Femtosecond هو جزء من مليون مليار جزء من الثانية أي (عشرة مرفوعة للقوة -١٥) والنسبة بين الثانية والفيمتو ثانية هى النسبة بين الثانية و٣٢ مليون سنة.

والحركة، والإرادة.. وهكذا تضيق الدائرة حتى يتميز هو عنها بفصل الإدراك الذي حباه الله عز وجل به دون غيره من سائر المخلوقات.

وبذلك فإنّ الإنسان في وُسعه أن يساوي نفسه في بُعد الأثر المعنوي بالجبال أو بالأشجار أو بالزواحف والثديات من العجماوات، إلا أنّ فطرته الإنسانية تأبى إلا أن تدفعه نحو مراعاة تميزه عن كل مخلوق بممارسة قوة الفعل الإدراكي وبالتالي السعي في طريق التكامل الفكري غير المُزاحم من أي موجود حادث، لذا فإن الإنسان وحده هو القادر على النهوض بهذه الأرض الميتة إلى حيث السمو والتطور والحضارة، ولهذه المهمة خلقه الله تبارك ذكره، وحتى يستقيم عليها أعطاه كتابًا يهتدي به وعترةً يسترشد بنورها.

إنها حقيقة الوجود الإنساني على هذه الأرض، وهي الحقيقة التي كلما تعمق الإنسان في إدراكها كلما سعى لتمكين تميزه عن باقي المخلوقات، ولا طريق لذلك إلا بتقوية الجنبة الإدراكية لديه، وحتى يبرز لنا أهمية هذا التحدي الوجودي قال أمير المؤمنين عليه السلام: «قيمة كل امرئ ما يحسنه»، والسبب هو أن درجات الحُسْن والإتقان ليست إلا نتيجة للعلم والمعرفة، فكانت القيمة هي مقدار افتراق الإنسان عن باقي المخلوقات، فكلما عرف وعلم وأتقن، كلما ارتقى وابتعد عنها فكان ذا قيمة ومنزلة.

هذا هو الإنسان، وفيه يتجلى المخطط الإلهي الذي يريد المولى عزّ وجل تمكينه في الأرض ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾، ولذلك كان الإنسان الأرضي الأول نبيًا منه عز وجل ليكون لمَن بعده كليًا يُقاس عليه، وكله بما يتناسب وطبيعة المرحلة، ولإتمام الحجة من جهة وتحقيق الغرض الإلهي من جهة أخرى فإنه تبارك ذكره وَعدَ وعدًا سماويًا بأن الأرض لا بد وأن يعمّها العدل والقسط بعد أن عاث فيها من عاث فسادًا حتى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾.

إن كل هذه السيارات الوجودية من وجود مجرد إلى وجود إدراكي عاقل، إلى إعمار وخلافة إلهية، وإفساد بتحدٍ شيطاني، كلها قامت وتقوم، ولا قائمة لها إلا بالعلم الذي إما أن يكون إنسانيًا، وإلا فهو شيطاني مُضل.

في محور الارتكاز هذا نحتاج إلى تأمل الرواية التالية دقة..

"عن كميل بن زياد قال: خرج إليّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأخذ بيدي وأخرجني إلى الجبان وجلس وجلست، ثم رفع رأسه إلي فقال: يا كميل، احفظ عني ما أقول لك:

الناس ثلاثة: عالمٌ رباني، ومتعلمٌ على سبيل نجاة، وهمجٌ رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركنٍ وثيق.

يا كميل، العلم خير من المال. العلم يحرسك و أنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق.

يا كميل محبة العالم دين يُدان به، تكسبه الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته فمنفعة المال تزَول بزواله.

يا كميل مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة.

هاه إن هاهنا - وأشار بيده إلى صدره - لعلماً جمًا، لو أصبت له حملة، بلى أصبت لقنا غير مأمون، يستعمل آلة الدين في الدنيا ويستظهر بحجج الله على خلقه وبنعمه على عباده ليتخذه الضعفاء وليجةً من دون ولي الحق، أو منقادًا لحملة العلم لا بصيرة له في أحنائه يقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، ألا لا ذا ولا ذاك، فمنهوم باللذات، سلِس القياد أو مغري بالجمع والادخار، ليسا من رعاة الدين، أقرب شبهًا بهما الانعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه.

اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة ظاهرٍ أو خافٍ مغمور، لئلا تبطل حجج الله وبيناته، وكم وأين؟!

أولئك الأقلّون عددًا الأعظمون خطرًا، بهم يحفظ الله حججه حتى يودعوها نظراءهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقائق الأمور، فباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون.

صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلقة بالمحل الاعلى.

يا كميل أولئك خلفاء الله والدعاة إلى دينه، آهٌ آه شوقًا إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولكم".[1]

بالنظر إلى هذه الرواية الشريفة نفهم أننا نعيش بين أن نكون ضمن: عالم رباني، أو مَنْ معه مِنْ طلاب العلم الصادقين، وإلا فأشباه سوافل الذباب والبعوض، وهم الهمج الرعاع، أدلاء على صنف رابع هو صنف (الناعق) الذي لولاهم لما كان له ريح، كما ولولاهم لما نَعَقَ من أصل؛ لأن الناعق ينعق بالغنم والقطعان، ولو لم يوجَدوا لما نعق.

نخلص إلى نتيجة مهمة جدًا، مفادها أنّ ضابطة مسير الإنسان بين هذه الطوائف التي بيّن تقسيماتها أمير المؤمنين عليه السلام هي ضابطة العلم والمعرفة التي توجهه بل وتمكنه فكريًا ومنهجيًا من اختيار أن يكون هنا أو هناك، حيث إنه ومنذ البداية واقع بين أمرين، أولهما: ﴿فَسَجَدُوا﴾، وثانيهما ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾، أما الأول فهو طريق بناء الجسر الموصِل لرضا رب العالمين فالفوز بجنة عرضها السموات والأرض، ويبقى الثاني هو طريقِ البناء أيضًا ولكن للجسر الذي يهوي بصاحبه إلى نارٍ وقودها الناس والحجارة أُعِدت لأمثال هؤلاء.

العلم النوري

في هذا البحث الموضوعي أريد التأسيس لكبرى يقاس عليها في طريق فحص الحالة الفكرية للمجتمع، ويكفي في المقام النظر في بيان خط العلم الرباني والقياس عليه، فيكون الخارج عنه عنوانًا ومضمونًا في قائمة ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ وأتباعه من الهمج الرعاع.

---

١ - الخصال - الشيخ الصدوق - ص ١٨٦ - ١٨٧

أولاً: ماهو مفهوم العلم في الإسلام؟

قرر المناطقة بأن العلم هو: (انعكاس، أو انتقاش، أو حضور) صورة الشيء في الذهن، فإذا حضرت فيه صورة قطعة مسطّحة تقوم على قوائم أربع -مثلاً- علم بها تصورًا وصدَّقَ بأنها طاولة، وهكذا هو العلم في نظرهم، وهو حق بلا شك، إلا أنه غير تام في نظر الإسلام العظيم الذي يشترط في الحضور الذهني للمعلوم أن يكون متوفرًا على بُعد آخر يُفهم من قول الإمام الصادق عليه السلام لعنوان البصري: "ليس العلم بكثرة التعلم، إنما هو نورٌ يضعه اللهُ في قلب من يريد أن يهديه، فإن أردتَ العلمَ فأطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية، وأطلب العلم باستعماله واستفهم الله بفهمك".[1]

إنه بُعْدُ النُور الذي وصفه المعصوم عليه السلام بأنه عطاءٌ من الله عز وجل يُطْلَبُ بطلب حقيقة العَبودية في النفس أولاً، وهذا بحثٌ مهمٌ جدًا إلا أن المقام ليس مقامه.

قال الإمام عليه السلام عن العلم بأنه (نور)، وبالتالي فإننا إذا أردنا الكشف عن المعنى الحقيقي للعلم كان من اللازم علينا أولاً معرفة المُراد من النور، ولماذا كان التعريف به؟

النور هو: ما ينتج عن أشعة الضوء المنعكسة على الأجسام الكثيفة، فعندما يسفر الصبح تلقي الشمس بأشعتها على كل موجود مادي من الذرة فما فوقها فينير في أعين الناظرين، فالضوء هو مصدر الإشعاع، والنور هو الظهور الحاصل بفعل الإشعاع عند ملاقاته لجسم أو أجسام كثيفة، ولذلك قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾[2]، وكما هو معروف أنّ القمر جسمٌ معتم مثله مثل الأرض، ولكنه ينير عندما تسقط عليه أشعة الشمس المضيئة، وبعبارة أخرى نتمكن من القول بأن الضوء حالة فعل، في حين أن النور حالة انفعال.

---

١ - شجرة طوبى - الشيخ محمد مهدي الحائري - ج ١ - ص ٣٨
٢ - سورة يونس ٥

عرَّفَ المعصوم عليه السلام العلم بالنور، فقال: (العلم نور)، ولكنه فصّل في مصدريته فقال: «يضعه[1] الله في قلب من يريد أن يهديه»، وبما أن نورانية القمر مظهرة له ولغيره مما تقع أشعتها عليه ، يصبح العلم في المفهوم الإسلامي بمثابة المادة الجامدة التي يُرسل الله تعالى عليها موضوعًا من عنده فتَـظهر وتُـظهر غيرها، وعليه فإن العلم في نفسه إما أن يكون علماً ظلاميًا أو أن يكون علماً نورانيًا، والذي يظهر هذه الحقيقة هو قوة انجذاب (العالم) إلى طريق ﴿فَسَجَدُوا﴾.

من الواضح الآن أنّ قول الرسول صلى الله عليه وآله ممتثلاً لأمر الله سبحانه فيما يحكيه القرآن الكريم: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2] يعني أنه صلى الله عليه وآله يطلب من الله عز وجل زيادة في أدوات الهداية، وهي العَلَم النوري الذي يُظهر في نفسه علماً ومعرفةً كما يظهر ويبين الطريق للمشتمل عليه حكمةً وفهماً، ولذلك قال عز من قائل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[3].

صفة العلم النوري:

«عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل،

فقال: ما هذا؟

فقيل: علاَّمة.

فقال: وما العلاّمة؟

فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها، وأيام الجاهلية، والأشعار العربية.

قال: فقال النبي صلى الله عليه وآله : ذاك علم لا يضر من جهله، ولا ينفع من علمه، ثم قال

١ – في بعض الروايات الشريفة (يقذفه)

٢ – سورة طه ١١٤

٣ – سورة البقرة ٢٦٩

النبي ﷺ:

إنما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة، وما خلاهن فهو فضل».[1]

فالعلم هو ما دل على الله تعالى أو ما نظّم أمور العباد بما يرضي المولى عزّ وجل أو ما صان ارتباطهم ورفع شأنهم عند خالقهم تبارك ذكره، وإلا فهو فضل لا يضر من جهله.

إن العلم النوري هو في واقعه حالة من الارتقاء يسلكها الإنسان مادام موفقًا فيشق بها طريق التوازن بين الحضارة المعنوية وهي الأصل، وبين ما تنفتح عليه من آفاق التحضر المادي في ضمن العناوين الثلاثة التي قررها رسول الله ﷺ.

صفة الحاملين للعلم النوري:

مجموعة من الأحاديث الشريفة يتحدث فيها المعصومون عليهم السلام عن صفة العلماء في المفهوم الإسلامي، وهنا نستعرض بعضًا منها:

«عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلّمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم».[2]

"عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ قال: يعني بالعلماء من صدق فعله قوله، ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم".[3]

قال أمير المؤمنين عليه السلام: "ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه؟ من لم يقنّط الناس من رحمة الله، ولم يُؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره.

١ - الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٢
٢ - الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٦
٣ - المصدر السابق

ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكر"[1].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: يا طالب العلم! إن للعالم ثلاث علامات: العلم والحلم والصمت، وللمتكلف ثلاث علامات: ينازع من فرقه بالمعصية، ويظلم من دونه بالغلبة، ويظاهر الظلمة»[2].

من مجموع هذه الأحاديث الشريفة وغيرها تتضح لنا معالم العلم النوري ومعالم حامليه، وهو ما نبحث عنه لتقرير قاعدة كلية تكون لنا (نورًا) يكشف عن واقعنا إن كان موافقًا للوعي السماوي، أم أنه من النوع الظلامي الممقوت، وحتى نصل إلى الصياغة النهائية نلخص ما تقدم في التالي:

العلم في المفهوم الإسلامي هو المعلوم بقيد تفاعل النفس، والذي يجعلها في حالة ارتقاء متوازن بقيادة الانفتاح الروحي والمعنوي على عالم السماء، وهذا هو العلم النوري الذي يريده الله تعالى للإنسان.

إنّ لهذا النوع من العلم انعكاس مباشر على سلوكيات وأخلاقيات حامله.

إذا تم انعكاس العلم النوري على سلوكيات وأخلاقيات حامله فإنه يُعرف بين الناس بأمور، منها:

* الحلم والوقار.
* التواضع للعلماء وطلاب العلم.
* التوافق في القول والفعل، فلا يقول ما لا يفعل.
* العمل في الناس برحمة الله عز وجل وإنذاره، وعدم تحقير المعاصي والذنوب في أعينهم.

---

١ – المصدر السابق

٢ – المصدر السابق ص ٣٧

* حمل القرآن قراءةً وتدبرًا وفهمًا وسلوكًا.
* تحليل الحوادث والوقائع على ضوء كتاب الله عز وجل.
* قلة الكلام إلا في مواضعه.
* البعد عن النزاعات والمشاحنات.
* عدم الاستقواء على من هم دونه.
* عدم إعانة الظالمين بأي شكل من الأشكال.

إنما يكون العالم عالمًا بهذه المواصفات الطليعية إذا كان علمه مما لنفسه قابلية الانفعال به انفعالاً نوريًا يحول الأرض إلى منطقة خلافة إلهية، تتوازن فيها قوى المعنى وقوى المادة توازنًا يؤهل الإنسان للعودة من خلاله إلى الجنة التي خُلق من أجلها، وهذا هو الأهم قطعًا.

إذًا:

كل ما يؤثر في تحقيق دولة الخلافة الإلهية بموازينها المقررة ويحقق التوازن المعنوي والمادي في هذه الأرض فهو علم نوري، وما خلافه فهو علم ظلامي.

وعليه فإن الآتي في الكتاب عبارة عن جزئيات وصغرويات تقاس على الكبرى المقررة هنا لنرى النتائج كيف تكون.

علم طلب العلم

حتى يستقيم الأمر على ما أراده الله سبحانه وتعالى فالحال يحتاج إلى صبغة علمية تغلب على مساحات وبقع الظلام، وللوقوف على أهمية هذا المطلب نقدم أولاً بما يوضح معالم المساحات والبقع الظلامية حتى نُكَوّن فكرة إجمالية أولية عن موضوع الصورة، وحتى نحقق دقة الفكرة فلا بد أولاً من بيان أن مساحات النور التي في الواقع مصغرات دولة الحق الإلهية هي تلك المساحات القائمة على قانون الأسماء والصفات، التي متى ما انتفى أو انتكس شيءٌ منها فإنّ المؤدى هو نشاط خلايا الظلام الساعية للحكم هنا وهناك.

يُعلم الآن أن مساحات وبقع الظلام إنما تتشكل وتنتشر على أنقاض الانتكاسات في سلوكيات الأسماء والصفات، فكلما عاكس الإنسان قوانين الصفات النورية كما لو خالف قوانين الحلم -مثلاً- تسارعت أنياب العجلة وقلة التعقل لتنشب في مساحات كان من المفترض أن يكون الحلم هو الملك فيها، وبذلك تتشكل بقعة ظلام تمتلك درجات عالية من القابلية للتوسع، كما وأن لها نصيبًا من العبقرية الخطيرة في الانقضاض على أية مساحة تندفع عنها صفة من صفات النور.

إن هذه المعادلة المهمة جدًا هي مما تقوم عليها مجاري الأمور في هذه الحياة الدنيا، كما وإنها خارج حدود السيطرة البشرية؛ حيث إن علاقة الصفة ومقابلها علاقة تناقض، إذ أن غياب الشجاعة -مثلاً- يعني حضور الجُبْن، وغياب الأمانة يعني قيام الخيانة، والعكس بالعكس صحيح، وعليه فمما ينبغي للإنسان العاقل الاجتهاد ما استطاع في الوصول إليه هو العالي من درجات القدرة على التشخيص الموضوعي والتمييز بين ما يُراد وما لا يُراد، ولا شك في أن هذا من المطالب الجادة التي لا يمكن تحقيقها إلا بالعلم والتجربة والممارسة وخوض غمار الوقائع بالمتابعة

والنظر فالتحليل والمشاركة، أما إذا غاب هذا الجُهد فالمعنى غياب جملة كبيرة جدًا من الصفات النورية وانتصاب البقية منها على حافة التهاوي والضياع؛ أما السبب فهو أنّ العلم وكما مَرَّ هو المرتكز في حركة الإنسان من أول مولده وحتى اللحظة التي تُقبض فيها روحه، ولذلك كانت الفرصة لحينها ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾[1]، فإذا انحرف إنسان عن طريق طلب العلم طفحت جراثيم اللاإنسانية على السطح لتبدأ في تكوين مساحات الظلام.

يُقال بالنظر إلى واقع المجتمع بأن مؤشر الحالة العلمية جيد، حيث إنه في البحرين –مثلاً– انخفضت نسبة الأمية بحسب المعايير الدولية إلى أقل من ٢,٧٪ في ٢٠٠٨م[2]، وكذلك في كثير من الدول تُسَجِّلُ الإحصاءاتُ انخفاضات جيدة في نسبة الأمية، وهذا يقلل المخاوف من مغبات ترك الناس لطلب العلم.

نعم، هذا كلامٌ صحيح إلا أنه في غير محله؛ لأن الكلام الذي قدمنا به كان في خصوص العلم النوري الموصل لله تعالى والذي يكون الدافع عليه غاية الوصول للحقيقة السماوية التي جعلها المولى عزّ وجل مطلبًا للعقلاء، أما النسب المطروحة في قياس الأمية فإنها منخفضة لأن الناس يطلبون العلم طلبًا حثيثًا من أجل الدنيا، والدنيا عندهم هي الظفر بلقمة العيش ابتداءً، ومن بعد ذلك تتفرع عليها أمور كالرفاهية عند بعض، والسعي العلمي لمضاعفة الانجازات التقنية والتكنولوجية عند بعض آخر، ومانحو ذلك من دوافع لا تتجاوز حقائقها حدود هذه الدنيا الفانية، وهذا اللون من الدوافع وبالرغم من أنّ إنجازاته متلاحقة متسارعة إلا أنها لا توفر إنسانية لإنسان ولا تمده حتى بأقل القليل من الروح النورية الباعثة على تقوية الإيمان والسعي لتحقيق دولة الخلافة الإلهية كما يريد الله سبحانه وتعالى، والدليل على أن الحركة العلمية القائمة فعلاً والتي في حقيقتها ليست علمية بل ظلامية بالمفهوم الإنساني يتلخص في التالي:

---

١ – سورة الواقعة ٨٣

٢ – حسب جريدة الوسط بتاريخ 8 سبتمبر 2008م/ العدد 2194 http://www.alwasatnews.com/2194/news/read/170935/1.html

قلنا بأن العلم إذا لم يبني الإنسان إنسانيًا ولم يكن معبدًا لطريق إقامة دولة الحق الإلهية فهو علم ظلامي لا تتعدى فائدته حدود هذه النشأة. وعليه:

تتسارع وتيرة الإنجازات العلمية من جهة، ومن جهة أخرى:

صرّح يان إيجلاند[١] بأن الأوربيين ينفقون سنويًا ١٠ مليارات دولار لشراء الآيسكريم في حين أن المساعدات المالية لدولة تعاني الأمرَّين من الفقر والمجاعة مثل النيجر لم تصل إلى ٣٠ مليون دولار!![٢].

كما وصرح موقع (أخبار سويسرا في عالم اليوم) بأن أكثر من ٨١٥ مليون إنسان يعانون سوء التغذية، فيما يموت حوالي ٣٦ مليون بسبب المجاعات![٣]

هذا في الوقت الذي يتقاضى فيه الرئيس الأمريكي راتبًا سنويًا مقداره ٤٠٠ ألف دولار، أي ٣٣ ألف دولار شهرياً، أما بعد التقاعد فله ١٥٠ ألف دولار سنويًا ومثلهم -تقريبًا- لمصاريف المكتب والموظفين!![٤]

أما راتب المدرس في مدارس بعض الدول (النفطية) والذي من المفترض أن يكون مخرجًا لأجيال وأجيال من (البشر) فقد يصل في وقت من الأوقات إلى ٢٢ ألف دولار سنويًا!!

تتسارع وتيرة الإنجازات العلمية من جهة، ومن جهة أخرى:

"تشير أرقام قارنت بين أرقام الزواج والطلاق في دول عربية خلال سنوات سابقة إلى أن نسبة الطلاق في السعودية وصلت إلى ٢١٪، وفي الإمارات العربية

١ - يشغل منصبا مسؤولاً في الأمم المتحدة (٢٠٠٥ ميلادية)

٢ - موقع bbc الأخباري http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/world_news/newsid_4695000/4695913.stm

٣ - (١٦ أكتوبر ٢٠٠٢) http://www.swissinfo.ch/ara/index.html?cid=2977978

٤ - تقرير واشنطن (العدد ٤٥ - ١١ فبراير/ شباط ٢٠٠٦) http://www.taqrir.org/showarticle.cfm?id=278

٤٤٪، وقطر ٣٠٪، والكويت ٣٢٪، ومدينة الرباط في المملكة المغربية ٤٦٪، وفي مصر تسجل ٢٤٠ حالة طلاق يوميًا، أي بمعدل مطلقة كل ست دقائق"[١].

أما فيما يتعلق بالمخدرات فقد وصل «حجم الإتجار العالمي بالمخدرات إلى مبلغ تجاوز (٧٠٠) مليار دولار سنويًا.. وهو بذلك يحتل المرتبة الثالثة في العالم بعد تجارة السلاح والدواء ويفوق تجارة النفط .. بلغ عدد متعاطي المخدرات خلال سنة ٢٠٠٤ م حوالي (١٨٥) مليون متعاطي وهذا العدد يمثل (٣٪) من عدد سكان العالم وبزيادة قدرها (٥) مليون متعاطي عن سنة ٢٠٠٣ م .. يقدرعدد المتعاطين لمخدر الحشيش بحوالي (١٥٠) مليون متعاطي .. يقدرعدد المتعاطين للأفيون (١٥) مليون متعاطي منهم (٩) مليون يتعاطون مخدر الهيروين .. يقدرعدد متعاطي المنشطات بحوالي (٣٠) مليون متعاطي .. يقدر عدد متعاطي أقراص (الإكستازي) او ما يعرف بحبوب النشوة بحوالي (٨) مليون متعاطي .. يقدرعدد المتعاطين الذين يستخدمون طريقة الحقن في الوريد بحوالي (١٣) مليون متعاطي في (١٤٠) دولة منهم نصف مليون مدمن من المنطقة العربية .. يقدر بأن (١٠ ٪) من المصابين بمرض الإيدز هم ممن يتعاطون المخدرات عن طريق الحقن في الوريد.."[٢]

تتسارع وتيرة الإنجازات العلمية من جهة، ومن جهة أخرى:

---

١ – موقع العالم بين يديك، من مواقع الجزيرة نت (الجمعة ٢١/ ٩/ ٢٠٠٧) ttp: / /www.aljazeera.net / News /archive /archive?ArchiveId=1069474

٢ – إحصائية دولية عن منتدى مكافحة المخدرات والوقاية منها .http: / /abujanah-antidrugs.mam9.com /montada-f12 /topic-t28.htm

يزحف (من تحت ستار بال) أخطبوط زنا المحارم -والعياذ بالله-، هناك في بلاد الحرية، وهنا في بلاد (الإمعية)، فالذي يحدث هناك لابد وأن يُصدّر إلى (هنا) على اعتبار أنّ عولمة العلم مما يرتكز عليه مخطط التقدم والتطور والنمو التقني والتكنولوجي!

لو أردنا الحديث عن مساوقات التقدم العلمي من انهيارات أخلاقية وقيمية لاحتجنا لإفراد كتاب خاص يهتم بهذا الشأن فقط، حيث إن التردي السلوكي بشكل عام قد طال مختلف مفاصل المجتمع الإنساني وبشكل منظم يفوت -غالبًا- فرصة ملاحظته واصطياده، ولذلك فإن تحول القيمة إلى حالة متغيرة، وارتفاع قانون الثوابت من حسابات الناس أصبحا من الأمور الطبيعية جدًا والتي ترفض الثقافة القائمة مخالفتها، وهذا هو أجلى مصاديق قول الرسول الأكرم ﷺ في أشراط الساعة بأن (عندها يكون المنكر معروفًا، والمعروف منكرًا)[1].

تطبيق القياس:

بالرغم من التقدم العلمي الهائل الذي يشهده العالم الإنساني إلا أنّ الحاصل هو ابتعاد الناس عن إقامة دولة السماء، وهذا واضحٌ جداً بالوجدان أولاً، وبهذا الكم الهائل من الإحصاءات الرسمية التي تشير وتثبت التردي الأخلاقي والقيمي.

بالقياس على الكبرى: كل ما يؤثر في تحقيق دولة الخلافة الإلهية بموازينها المقررة ويحقق التوازن المعنوي والمادي في هذه الأرض فهو علم نوري، وما خلافه فهو علم ظلامي.

تكون النتيجة كالتالي:

إن حالة التقدم العلمي المشهود لم تسهم في تحقيق دولة الخلافة الإلهية، بل تقف ضدها بدليل ما قررته الإحصاءات المزبورة، لذا فإن هذه الحالة لا تسمى حالة علمية بمفهوم وميزان الإسلام العظيم، فمن يعتبر نفسه عالماً مثقفًا فاهمًا، إذا لم

---

١ - وسائل الشيعة (الإسلامية) - الحر العاملي - ج ١١ - ص ٢٧٧

يكن على طريق المساهمة في بناء دولة الخلافة الإلهية فهو جاهلٌ متخلفٌ سفيه.

الحل:

نجد الحل في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فليس من شيء يُطلب لهذهَ الدنيا، لأنها ليست سوى الطريقَ التكويني الذي جعله الله عزّ وجل سالكًا إلى الدار الباقية، والذي يحدد الاتجاه فيه هو سلوك الإنسان وقيمه وأخلاقياته التي يوظفها جميعًا إما لنيل رضا الله تبارك ذكره، وإما لمواجهة سخطه -والعياذ بالله-، وعليه فإن كل حركة ينبعث من خلالها الإنسان في فعل ما، فهي في حقيقتها تمثل خطوة أو خطوات صوب الآخرة، لذا فمما يُنتظر من المؤمن الحكيم أن يحول حياته إلى حركة عبادية دؤوبة، فيجعل (نومه) قربةً إلى الله تعالى بأن يأخذه طريقًا للراحة من أجل استعادة النشاط للعبادة، ويجعل (غذاءه) قربةً إلى الله تعالى بأن يأخذه طريقًا للتقوّي من أجل مواصلة العبادة، (وعمله) قربةً إلى الله تعالى بأن يجعله طريقًا لكسب الرزق حتى يأكل وينام بطمئنينة من أجل مواصلة العبادة قربةً إلى الله تعالى.

وفي العلم فإن المؤمن الحكيم يرى قدرة الله عزّ وجل وقوّته وحكمته وعلمه وإحاطته بل وكل أسمائه وصفاته في كل ذرة من ذرات هذا الوجود، وبذلك فإنه يحقق فتحًا إيمانيًا مع كل فتحٍ علميٍ جديد.

إن طلب العلوم الأخرى هو نتيجة طبيعية لتحقق العلم العلوي من أخلاق وعقائد وفقه؛ فالذي يمشي في طريق استكمال شخصيته العلمية أخلاقيًا وعقائديًا وفقهيًا تتولد في داخله دوافع طلب مختلف العلوم لأنه يشعر بأنها تقربه من الله عز وجل وتقوي إيمانه وتقواه و ورعه.

وعليه فإن تحكيم المرحلية في التطور العلمي والتقدم التقني والتكنولوجي، بأن تتقدم علوم الأخلاق والعقائد والفقه لتكون متبوعة بباقي العلوم، هو الطريق للخروج من هذه المنزلقات المهلكة التي أدخلتنا في مفاسدها قوانين فصل الدين عن الحياة..

علم الحرية والديمقراطية

الحرية في قبال الرِّق، فمن سُلِب حقه في الاختيار والمضي فيه فهو مسلوب الحرية بما هو أعم من الاسترقاق؛ فالسجن حبس للحرية بهذا المعنى، وكذلك التسلط والتعرض للاستبداد والدكتاتورية ومانحو ذلك مما يعارضه الإسلام العظيم صراحةً كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1]، وقوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[2]، بل وأكثر من ذلك أن الله سبحانه وتعالى أتاح مجال الحوار للملائكة النورينَ، ومثله أيضاً لإبليس الرجيم، وهو الله الرب الخالق الملك الحق تبارك ذكره.

إن في هذه الآثار القرآنية بيان واضح على مساحة الحرية التي يهتم الإسلام بالمحافظة عليها للمخلوق المدرك الذي ما جعله الله عز وجل مدركًا إلا ليكون قادرًا على الاختيار وتحديد الطريق، ولكن ليس من الحكمة في شيء أن يفتح الله جلَّ شأنه أبواب الحرية على مصاريعها دون قيد ولا قانون لما في ذلك من تضييع لأصل الغرض من خلق هذه الدنيا؛ حيث إن ترك الأمور هكذا دون قيود يعني فتح باب التصادم المباشر بين الناس، وبالتالي الانصراف عن ممارسة الإنسانية في مهمة الخلافة الإلهية.

ألا ترى أنّ مِن تمام حرية المسلم أن يحافظ على البلاد خالية من الحانات والمراقص ومحال الفساد في نفس الوقت الذي يؤمن فيه غيره بأن من تمام حريته أن يكون له حانات ومراقص ومانحو ذلك؟

---

١ – سورة الكهف ٢٩

٢ – سورة البقرة ٢٥٦

فما هو الحل؟

هل تُتاح حرية الممارسة لمن يريد الخمر والرقص، ويمنع المسلم من ممارسة حقه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما هو حاصل اليوم؟

هل يقبل النظام العالمي الذي ينادي بالحرية بأن يتاح للمسلم حقه في ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون تدخّل من الحكومات وشرطتها؟

كيف تكون النتيجة حينئذٍ؟

يدرك العالم بأن تحقيق الحرية المطلقة مُحال عقلاً لما فيه من تصادم لا يمكن تفاديه، ولذلك يسقط دعاة الليبرالية في أول مواجهة مع من يطالب بحرية تقابل الحرية التي يريدون هم تطبيقها، فإن أقصوه لحساب حريتهم عملوا بخلاف ما يدعون إليه، ونفس الشيء في حال إقصاء حريتهم لحرية الطرف المقابل، لذا فإن دعوة الحرية لا يمكن أن تتم إلا بحاكمية عليا تخضع لها كل الحريات مطلقًا، وهذا ما تلعبه السلطة المادية الكبرى في الأرض وهي سلطة الولايات المتحدة الأمريكية ودول الصف الأول من الغرب المصاغ في قانون دولي يحمل توقيع الأمم المتحدة، وفيه كل ما يوافق الحريات بحسب المقاس الاستكباري لأمريكا وأعوانها.

لقد وضع النظام العالمي نفسه في موضع الند لله سبحانه وتعالى فجعل لنفسه حق السلطة العليا المفروض للخالق الحق عزّ وجل، فكان أن أنتجت الحرية التي ينادي بها العالم اليوم تجاوُز عدد الأولاد غير الشرعيين في انجلترا عدد الشرعيين فكانت نسبتهم ٥ , ٥٠٪[١]!!

تقول الإحصائيات الرسمية في الولايات المتحدة الأمريكية أنه في كل ربع دقيقة هناك حادثة عنف منزلي تقع في مكان ما، هذا فقط في أمريكا! وتقول الإحصائيات أن ثلاثة أرباع الضحايا هم من النساء!

"في دراسة أوروبية أجريت عام ١٩٩٢ تبيّن أن ٢٥ ٪ من نساء أوروبا تعرضن

---

١ - جريدة الشرق الأوسط (٢ مايو ٢٠٠٢م) http: //www.aawsat.com /details.asp?section= ٣١&article=١٠١١٢٤&issueno=٨٥٥٦

لحادثة عنف منزلي في حياتهن لمرة واحدة على الأقل (Council of Europe 1992).

في عام ١٩٩٨ رصدت الإحصائيات أكثر من مليون ونصف حادثة عنف في أمريكا منها ١٨٣٠ حالة انتهت بالقتل (طبعًا هذا في عام واحد وفي بلد واحد، فتأمل كم عدد الحالات خلال عشر سنوات وفي دول متعددة!!)، والعجيب أننا نرى الكثير من العيادات النفسية والمراكز والجمعيات والمواقع على الإنترنت قد خُصِّصت لعلاج آثار العنف بين الأزواج، ولكن للأسف الأرقام في ازدياد.

وقد أخذنا الإحصائيات الحديثة التالية من أحد المواقع
(Statistics of Battered Women، www.asafeplaceforhelp.org)
وهو خاص بنساء الولايات المتحدة الأمريكية فقط:

- في كل ٩ ثواني هناك امرأة يُعتدى عليها جسديًا من قِبَل زوجها!

- ٧٪ من نساء أمريكا تم الاعتداء عليهن جسديًا، و ٣٧٪ تم الاعتداء عليهن عاطفيًا بالكلام البذيء والشتم.

- نسبة النساء الحوامل اللاتي تم الاعتداء عليهن تصل إلى ٢٦٪ .

وتؤكد الإحصائية أن نسبة كبيرة جدًا من العنف وجرائم القتل ضد النساء تأتي من قِبَل الأزواج غير الشرعيين...

هناك أيضًا مسألة الشذوذ الجنسي والتي نتجت من كثرة التعرِّي والفواحش المعلنة والعزوف عن الزواج، وفي دول الغرب هناك ظاهرة تنتشر بشكل كبير اليوم وهي أننا نجد رجلاً يعيش مع رجل آخر أو امرأة مع امرأة، يعيشان وكأنهما زوجان، وتؤكد الإحصائيات أن نسبة العنف بين الشاذين جنسيًا كبيرة جدًا، تصل إلى ١٨ ضعف العنف بين الأزواج الطبيعيين. وتصل نسبة العنف والضرب بين الشاذين جنسيًا إلى أكثر من ٣٠ ٪ حسب هذه الإحصائيات (Statistics Canada، Canada's National Statistical Agency، July 7، 2005).

كما وأنه:

في جنوب أفريقيا هناك ٢٠٪ من السكان يحملون فيروس الإيدز!!

من العام ٢٠٠٢ حتى ٢٠٢٠ سوف يقتل الإيدز ٦٨ مليون شخص في العالم!

تؤكد منظمة الأمم المتحدة أن هذا المرض يحتاج كل عام إلى ١٠ بليون دولار كنفقات علاج!

تخبرنا الأمم المتحدة بأن هنالك في العالم ١٤ ألف شخص يُصابون بالإيدز وذلك في كل يوم!!! ونصف هذا العدد من النساء، ومن هؤلاء ٢٠٠٠ طفل وطفلة! ونحن نقول كل يوم، فتأمل هذه الأعداد الضخمة. إن الخسارات التي سيسببها هذا المرض في عام ٢٠٠٨ هي ٢٢ بليون دولار![١]

لقد حصد الإيدز منذ ١٩٨٠ وحتى نهاية ٢٠٠٥ أكثر من ٢٧ مليون إنسان منهم رجال ونساء وأطفال، وفي عام ٢٠٠٥ فقط فقدَ أكثر من ٣ ملايين شخص حياتهم، وهنالك أكثر من ٤٠ مليون شخص يعيشون مع هذا الفيروس وسوف يموتون عاجلاً أم آجلاً.

ويؤكد الباحثون أن معظم حالات الإصابة بالإيدز ناتجة عن العلاقات الجنسية الشاذة والعلاقات الجنسية المحرّمة والمخدرات...»[٢]

إنّ هذا المصائب التي تطبعت عليها الشعوب هناك تنعكس في عقد من الزمن (على أكثر التقديرات) على مجتمعاتنا التي سرعان ما تتبع فيها خطوات الغرب، فيكون المخالف لها ومن يعتبرها مصائب هو في نظرهم من يعاني مصيبة التخلف والرجعية والتطرف!!

وبِداعي الحرية ودفاعًا عنها والسعي لنشرها في كل مكان فإنه:

«- يوجد في السجون الاتحادية وغيرها في أمريكا أكثر من مليونين سجين.

---

١ - ونحن اليوم في العام ٢٠١٠م والإحصاءات في ارتفاع. فتأمل..!!

٢ - موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة (بتصرف يسير) http://www.kaheel7.com/modules.php?name=news&file=article&sid=606

طبقًا للمعدلات الحالية سيدخل السجن ثلث الذكور السود وسدس الذكور من أصول لاتينية وواحد من بين كل ١٧ رجلاً أبيض. أما المرأة فهي تمثل أكبر فئة تشهد زيادة في معدل أعداد من يدخلون السجن.

ما نسبته ٥٢ ٪ من الجرائم التي تقف وراءها الكراهية، منها دوافع كراهية تتعلق بالجنس بنسبة ١٩ ٪، و منها لدوافع كراهية بسبب الدين، وإن عدد الجرائم ضد المسلمين بلغ ١٥٦ اعتداء مقابل ١٢٨ اعتداء في عام ٢٠٠٥ بزيادة نسبتها ٢٢ ٪.

٥٩ ٪ من المعتدين والجناة كانوا من البيض مقابل ٢١ ٪ من السود، كما ارتفع معدل الجرائم ضد البيض بنسبة ٧ ٪، بينما لم يشهد معدل جرائم الكراهية ضد السود أي تغيير.

إن جرائم التخريب المتعمد شكلت الغالبية بين الاعتداءات بنسبة ٨١ ٪ من جرائم الكراهية، فيما تجسدت النسبة المتبقية من جرائم الكراهية في أشكال عدة بينها السرقة وإشعال الحرائق.

جرى اعتقال ١,٥ مليون شخص من بين ١٩,٥ مليون متعاطي للمخدرات في عام ٢٠٠٢، وسجن حوالي ١٧٥ ألفًا في قضايا للمخدرات نصفهم من السود على الرغم من أن السود يشكلون ١٣ ٪ من سكان الولايات المتحدة بحسب رويترز.

بلغت معدلات فرار الجنود الأمريكيين من الخدمة في الجيش أعلى معدل لها منذ العام ١٩٨٠، و بلغت الزيادة في عددهم حوالي ٨٠ ٪، وذلك منذ بدء غزو العراق في مارس/ آذار عام ٢٠٠٣.

إن واشنطن التي يقطنها حوالي ٦٠٠ ألف شخص لديها معدل ١٢٨ حالة إصابة بالإيدز لكل ١٠٠ الف شخص في ٢٠٠٦ مقارنةً مع معدل ١٤ حالة لكل ١٠٠ ألف على المستوى القومي. والمدينة كان نصيبها ٩ ٪ من كل حالات

الإصابات بالإيدز بين الأطفال في الولايات المتحدة خلال ٢٠٠٥."[١]

لا يخفى أن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر اليوم هي المصنع الرئيسي للثقافات والسلوكيات والتوجهات الفكرية التي سرعان ما تنتشر في العالم عبر الآلة الإعلامية الشرسة لنظامها الفاسد، فما هو متحقق اليوم في أمريكا لا شك أنه متحقق عندنا أيضًا ولكن بما يتناسب مع الوضع العام للمجتمع، وهذه خطوة في طريق المخطط الأكبر وهو تحويل العالم إلى دولة واحدة اسمها أمريكا إن لم يكن جغرافيًا فثقافيًا وسلوكيًا.

إنّ هذه الجرائم والانحرافات في أمريكا أُظهِرت للعلن في تقارير ودراسات رسمية، أما عندنا في مجتمعات الشرق فلا يُسمحَ برفع (التبن عن الدود) حتى لا تكشفه الشمس، ولذلك نحن نستنكر بعض الجرائم التي يُعلن عنها في الصحف -أحيانًا- لأننا جاهلون بحقيقة وجودها وامثالها بكثرة، ولكنها تحت التكتم!!

على أية حال، إذا كان النداء الأظهر اليوم هو النداء بالحرية ولها، فلماذا هذا التزايد في أمثال هذه الجرائم وغيرها؟

أوليست الحرية مقدمة للاستقرار والطمأنينة والتكامل الفكري المتسق في اتجاه واضح مقصده الرقي بإنسانية الإنسان؟

إذا كان الأمر كذلك، فكيف تنتج لنا الحرية هذا الكم الهائل والنوع المتسافل من الجرائم؟

تطبيق القياس:

تذكير بالكبرى: كل ما يؤثر في تحقيق دولة الخلافة الإلهية بموازينها المقررة ويحقق التوازن المعنوي والمادي في هذه الأرض فهو علم نوري، وما خلافه فهو علم ظلامي.

---

١ - تقارير رسمية نقلتها شبكة النبأ المعلوماتية (الاحد ٩ كانون الاول/ ٢٠٠٧) (بتصرف يسير) http: // www.annabaa.org /nbanews/ ٦٧/ ٣٤٦.htm

بدا واضحًا أنّ الحرية التي ينادي بها المجتمع العالمي اليوم هي أبعد ما تكون عن المساهمة في إقامة دولة الخلافة الإلهية، وبالتالي فإن علم الحريات المتداول اليوم هو علم ظلامي لابد من إقصائه بعلم الحريات النوري الذي صاغته السماء صياغةً تامةً كاملةً نتاجها الخير والأمن والاستقرار.

قلنا في مطلع الكلام أن الحرية مقصد مطلوب يدافع عنه الإسلام العظيم بكل قوة ويرفض التنازل عنه تحت أي ظرف كان، كما وقلنا بأن إطلاق الحريات من غير ضوابط ولا موازين هو عين الفوضى والإرباك وتحويل المجتمع الإنساني إلى «غابة» كما هو الحال في العالم بما تحكيه تلك التقارير التي ذكرناها قبل قليل، هذا ونداء الحرية المطروح يبقى تحت حاكمية المصلحة الأمريكية، إذ أنّ تصادم الحريات ليس من مصلحتها، بل هو ضدها.

نخلص إلى أن وجود سقف للحريات أمر لا بد منه ولا مناص، وهذا السقف الذي وضعه الإنسان أثبت فشله بدليل هذه التقارير المخيفة فيما يخص الجريمة والكراهية والأحقاد، ناهيك عما نعانيه نحن في مجتمعاتنا من أزمات خانقة بسبب فتح باب الحريات أمام الأحزاب والجمعيات والتيارات الدينية والسياسية مما أدخلنا في دوامة التسقيط بحجة حرية الرأي، والضرب بحجة حرية التعبير، والسحق بحجة حرية الوجود، وهكذا تعمل فينا آلة الحريات الوضعية عمل الدودة في الثمرة.

الحل:

ليس من قانون في العالم كله يكفل استقرار الحريات الإنسانية مثلما يكفله قانون الإسلام العظيم[1] الذي يقول صريحًا على مستوى العقيدة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[2]..

١ - كلامنا عن إسلام القرآن الكريم والعترة الطاهرة، وليس عن إسلام القتل والتفجير والإقصاء والكذب والنفاق، فالكلام في أصل النظرية ولا شأن لنا بالانحرافات التطبيقية.

٢ - سورة الكافرون ٦

الإسلام العظيم الذي لا يُفرّق في العطاء الإنساني بين المسلم وغيره، وهذا أمير المؤمنين عليه السلام يسجل أروع الصور بريشة بيت المال في إشارة عميقة لفهم فقهي إنساني أبعد ما يكون عن الجمود، «فعن محمد بن أبي حمزة عن رجل بلغ به أمير المؤمنين عليه السلام قال: مر شيخ مكفوف كبير يسأل.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما هذا؟[1]

فقالوا: يا أمير المؤمنين نصراني..!!

قال: فقال أمير المؤمنين عليه السلام: استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه!! انفقوا عليه من بيت المال.»[2]

الإسلام العظيم الذي جسّده إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام في تعامله مع الخوارج الذين كانوا يرونه كافرًا ومن يتبعه، فعنه عليه السلام أنه خطب بالكوفة، فقام رجلٌ من الخوارج فقال: لا حَكَم إلا الله. فسكت علي. ثم قام آخر وآخر، فلما أكثروا عليه قال: «كلمة حق يُراد بها باطل، لكم عندنا ثلاث خصال: لا نمنعكم مساجد الله أن تصلوا فيها، ولا نمنعكم الفئ ما كانت أيديكم مع أيدينا، لا نبدؤكم بحرب حتى تبدؤونا به»[3].

لاحظ أن رئيس الدولة يخطب وفي أثناء الخطبة يكثر عليه المعارضون بالقول متواليًا وهو يستمع ومن بعد ذلك يرد عليهم ويبين لهم حقوقهم التي لا تفرق عن حقوق باقي الموالين، أما في حريات اليوم وحسب موازين (بوش الإبن) فإن من لم يكن مع أمريكا في حربها على النظام الطاغوتي في العراق، فهو ضدها، ومن يقف ضد أمريكا وجب في حقه الحصار الاقتصادي وما يأتي في أثره!!

الإسلام العظيم لا يجبر أحدًا على الفعل، ولكنه يقنن كل شيء بما يتوافق مع روح الدين والتدين، فهو يأمر المرأة بالستر سواء كانت مسلمة أو غير مسلمة

١ – لاحظ بأن أمير المؤمنين (ع)لم يقل: (من) هذا؟، ولكنه قال: (ما) هذا؟ في إشارة واضحة إلى أنه (صلوات الله وسلامه عليه) لا يهتم بشخص السائل، ولكنه يستنكر ظاهرة وجود إنسان يستجدي في دولته المباركة..!!

٢ – تهذيب الأحكام – الشيخ الطوسي – ج ٦ – ص ٢٩٢ – ٢٩٣

٣ – دعائم الإسلام – القاضي النعمان المغربي – ج ١ – ص ٣٩٣

مراعاةً لثوابت الإسلام وسلوك التدين، والستر حتى عند من لا يعتقد به فهو لا يضره.

أما في فرنسا الحرية والديمقراطية فيسن قانون يمنع لبس الحجاب مع عدم الاكتراث بالضرر الذي ينزله مثل هذا الإجراء على المسلمين، فغير المسلمة لو ألزمت بالحجاب رعايةً لحقوق المسلمين التي ينتهكها عدم الستر بحسب المفهوم الإسلامي، فهي غير متضررة على الإطلاق، لأن لبسها الحجاب لا يعارض دينًا أو مذهبًا أو حتى توجهًا فكريًا، ولكن المسلمة الملتزمة بالحجاب لا يمكن أن تمارَس عليها الضغوط القانونية القاضية بسلبها حجابها لما في ذلك من إضرار بدينها وسلوكها وفكرها. فأية حرية عندهم؟؟

الإسلام العظيم لا آرية فيه ولا سامية، ولكنه يرجع الكرامة عند الله تعالى إلى سلوك تخضع له الإنسانية برضاها، وهو سلوك التقوى، فقد قال المولى تبارك ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

أما في دول ما يسمى بالحريات فيوضع قانون خاص (لمراعاة السود، والهنود، وغيرهم) وربما العرب أيضًا إذا (نفق) نفطهم!

في الإسلام العظيم يقول أبو عبد الله عليه السلام: «أيما رجل أتى خَرِبَةً بَائِرَةً فاستخرجها، وكرى أنهارها، وعمرها، فإن عليه فيها الصدقة، وإن كانت أرض لرجل قبله فغاب عنها وتركها فأخر بها، ثم جاء بعد يطلبها، فإن الأرض لله ولمن عمرها».

أما في زمن الحريات والديمقراطيات التدميرية فبناء الحائط داخل البيت ممنوع حتى تستخرج له رخصة من جهات رسمية في قبال رسوم مالية لا مبرر لها غير الإذلال باسم الحرية!!

الإسلام العظيم يقضي بأن يحمي أمير المؤمنين عليه السلام حديدة يقربها من أخيه عقيل ليشعره حرارتها فيلقنه درساً في العدل والإنصاف، وهذا هو عليه السلام يصرح

١ - سورة الحجرات ١٣

فيقول:

«والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهدًا، وأجر في الأغلال مصفدًا، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالمًا لبعض العباد، وغاصبًا لشئ من الحطام.

وكيف أظلم أحدًا لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها؟

والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعًا، ورأيتُ صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكدًا وكرر علي القول مردداً، فأصغيت إليه سمعي، فظن أني أبيعه ديني وأتبع قياده مفارقًا طريقي، فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها.

فقلت له ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرني إلى نار سجّرها جبارها لغضبه؟

أتئن من الأذى ولا أئن من لظى؟

وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها، ومعجونة شنئتها كأنما عجنت بريق حية أو قيئها، فقلت أصلة أم زكاة أم صدقة فذلك محرم علينا أهل البيت.

فقال: لا ذا ولا ذاك، ولكنها هدية.

فقلت: هبلتك الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني، أمختبط أنت أم ذو جنة أم تهجر؟

والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لِعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى؟ نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين.»[1]

---

١ - نهج البلاغة - خطب الإمام علي (ع) - ج ٢ - ص ٢١٦ - ٢١٨

أما في دول الحريات والديمقراطية فالمشهود أجلى من أن يُدوّن على ورق، لأن الحريات في عرفهم حق لهم ينعمون به على الناس بعد عصرهم بخنق أدنى مصاديق الحرية التي يطالبون بها، فإذا فتحوا لهم أقل القليل فيما بعد يكونون كمن أنعم على ميت بالحياة، وفي قبال ذلك تكون من تمام حريات (المُنعم) ترك حرية اختيار نوع الإذلال المُراد للناس.

يختار الناس في مجتمعاتنا أرذل السلوكيات في اللبس والأكل والعلاقات والألسن، فهذا من حرياتهم، وفي نفس الوقت هو إذلال لهم وصرف لإنسانيتهم عن التفكير في الذي خُلِقوا من أجله وهو إقامة الخلافة الإلهية على الأرض.. وكله باسم الحرية!!

إنها حرية الكذب والخداع والاستغفال والالتواء..

أما حرية الإسلام العظيم فهي حرية الإنسانية التي تقنن هذه الحياة بما يتوافق مع فطرة الإنسان السوي، أما الخروج عليها فهو ممنوع بنص السلوك الإنساني المستقيم.

علم التربية

«التعريف الاصطلاحي: هو مجموعة العمليات التي بها يستطيع المجتمع أن ينقل معارفه وأهدافه المكتسبة ليحافظ على بقائه، وتعني في الوقت نفسه التجدد المستمر لهذا التراث وأيضًا لحامليه .»[1]

لو رفعنا لفظ (المجتمع) واستبدلناه بـ (الجهة الفاعلة) لكان التعريف يفيد أن التربية عبارة عن نقل سلوكيات معينة من الجهة الفاعلة إلى الجهة المستهدفة، وعند هذه النظرة الأولية وبملاحظة المعنى اللغوي للتربية لا يُوجَّه الاهتمام إلى نوعية السلوك المنقول، فالأمر سواء في النقل بين أن يكون المنقول حسنًا أو سيئًا؛ لأنه في نهاية الأمر يحقق معنى التربية.

قد يربو في الإنسان جانب ﴿فُجُورَهَا﴾، وقد يربو الجانب الآخر وهو ﴿ تَقْوَاهَا﴾، فقد قال المولى تبارك ذكره ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[2]، ولكن المراد للإنسان هو الزيادة والنمو في ﴿تَقْوَاهَا﴾، حيث إنه -وكما بينّا- الطريق الوحيد لرقي الإنسانية والمحافظة على السلام والاستقرار والطمأنينة، كما وأنه الطريق الموافق لإرادة السماء حتمًا، وكما هو واضح فإن الزيادة والنمو في ﴿فُجُورَهَا﴾ ناقض لهذا الغرض السامي، وعليه فإن الزيادة فيه يعني الضمور في ﴿تَقْوَاهَا﴾، وبالتالي فإن التوجيه العلمي في التربية يذهب صوب تنمية الجوانب الإصلاحية من أجل سلامة الفرد والمجتمع.

١ – عن موسوعة ويكي http: / /ar.wikibooks.org

٢ – سورة الشمس ٧ – ٩

ماهي الأساليب التربوية القائمة اليوم؟

أَقْتَحِمُ هذا العنوان من خلال توجيه الأذهان للمسألة المحورية التالية:

ينتقل الولد من سن الطفولة التامة إلى سن البلوغ عند الخامسة عشر تقريبًا، أما البنت فعند العاشرة، فما هو سن البلوغ؟

البلوغ في دقته يعني بلوغ المرحلة التي ينطلق فيها الإنسان بمحركية الإحساس بالتكامل الوجودي مع الجنس الآخر، هذه الضرورة التي من أجل المحافظة على عنفوانها دعمها الله عز وجل بغريزة الشهوة العاملة بحسب الفرض الإيجادي عمل الإظهار لشدة الرحمة والسكنى والمودة بين الزوجين.

إن هذه المرحلة هي بداية مراتب النضوج والتهيؤ للدخول في معترك الحياة وابتلاءات الدنيا، وهذا كله متوقف على إقامة مشروع التكامل بين الجنسين، وإلا فما معنى أن يبلغ الشاب عند الخامسة عشر من جهة وأن لا يكون قادرًا على تحمل مسؤولية الزواج من جهة اخرى؟

أين يذهب بغريزته؟ ماذا يصنع بميله الفطري نحو الجنس الآخر؟ هل يكبته حتى يأذن له المجتمع ويعطيه شهادة (ما) يتمكن من خلالها أن يمارس حقه الشرعي؟

الواقع القائم فعلاً:

تذكر المادة الأولى من اتفاقية حقوق الطفل: «... يعنى الطفل كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشر، ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه».[1]

بعد هذه المادة الميثاقية (الأممية) تسنُ قوانين لتحديد سن الزواج فيمنع تزويج من لم يصل الثامنة عشر.. الآن:

---

١ – اتفاقية حقوق الطفل المعتمدة من الأمم المتحدة

بحكم الواقعية التكوينية للإنسان فإن سن البلوغ يمثل منعطفًا أساسيًا في مسيرته الحياتية، وطبيعة هذا المنعطف أنه يقدم الإنسان إلى مرحلة النضوج والتكامل التي ترتكز فيما ترتكز عليه على التقارب المقنن بين الذكر والأنثى، ولذلك جعل الله تعالى و حرّك غريزة الجنس في كليهما عند سن البلوغ، وهذا يعني أن يرسم العقلاء تربوياتهم بالشكل الذي يتوافق مع هذه الواقعيات التكوينية.

إنّ المادة الأولى من اتفاقية حقوق الطفل تخالف الواقع التكويني للإنسان فتعطل حياته الطبيعية أربع سنوات للذكر وتسع سنوات للأنثى؛ لأن من مقتضيات تمديد فترة الطفولة من الخامسة عشر إلى الثامنة عشر يعني تمديد الإلقاءات التربوية الخاصة بفترة ما قبل البلوغ وأهمها عدم ترك البالغ لشعوره الفطري بالرجولة أو الأنوثة، لأنه لو ترك له لرفض الأساليب التربوية القائمة على أساس أنه طفل حتى سن الثامنة عشر، وفي نفس الوقت ليس في مقدوره الانفصال عن هذا الشعور، فيقع التصادم العنيف بين التوجيه التكويني له والتربوي الممارس عليه من قبل الجهات المحيطة مثل الأسرة والمدرسة والمجتمع، والنتيجة هي:

* «معدل جرائم الأحداث في دولة الكويت في الفترة ما بين ٢٠٠٠ – ٢٠٠٤ م كان ٢١٩١ جريمة مع معدل سكان أقل من ١٨ سنة لكل ١٠٠ ألف طفل ٧١٦٤٣١
* في ٢٠٠٤ م كانت جرائم الأحداث في الكويت كالتالي:
* ١ ,٣٦٪ جرائم واقعة على النفس.
* ٦ ,٥٠٪ جرائم واقعة على المال.
* ٣ ,٩٪ جرائم واقعة على العروض والسمعة.
* ٤ ,١٪ جرائم قانون السلاح.
* ٧ ,٢٪ جرائم قانون المخدرات.»[١]

---

١ – عن موقع وزارة الداخلية في دولة الكويت http: / /www.moi.gov.kw /portal /varabic/

إذا كانت هذه الإحصاءات الرسمية في دولة مسلمة محافظة لها عاداتها الطيبة وتقاليدها المتزنة، فكيف هو الحال في الدول الأكبر وخصوصاً تلك التي تحللت فيها القيم ومسخت على أعتابها الثقافات الإنسانية لتحل معها ثقافات الشيطان الرجيم؟

في دول العالم اليوم.. هل من الممكن الحصول على نسبة (أطفال وثيقة حقوق الطفل) الذين يمارسون العادة السرية من البنين والبنات؟

هل من الممكن أن نحصل على إحصائية دقيقة عن عدد الثيبات ممن لم يسبق لهن الزواج؟

هل من الممكن أن نحصل على إحصائية دقيقة عن السلوك العدواني عند (أطفال وثيقة حقوق الطفل)؟

هل من الممكن أن نحصل على إحصائية دقيقة عن عدد العلاقات الغرامية والجنسية بين (أطفال وثيقة حقوق الطفل) خارج الإطار الشرعي؟

هل من الممكن أن نحصل على إحصائية دقيقة تفيد حجم التبريرات التي يقدمها الآباء للتستر على أبنائهم؟

لو أدخلنا (أطفال وثيقة حقوق الطفل) في اختبارات نفسية، فكيف سوف تكون النتيجة؟ وماهي نوعية العقد النفسية التي يعانونها؟

إن مشكلة هذه النوعية من المشاكل هي كونها في الغالب محل تسترات الجهات الرسمية والآباء، ولذلك فإن (ما خفي أعظم)، ولكن مقتضى مخالفة السنن التكوينية أن تبرز الانحرافات في المجتمع وخصوصًا بعد تجاوز الفرد سن البلوغ، وذلك للتضاربات العنيفة بين السلوك الطبيعي والتربويات الغبية التي تُفرَض عليه فرضاً.

إنه إنسان يُقبِل من سن الطفولة بكل قوة وعنفوان وهو يريد تجاوز سن البلوغ بسلام ليدخل مرحلة المواجهة الحقيقية مع المجتمع، ولكنه يصطدم بواقع جديد هو واقع استمراره على خط الطفولة، وعندها تبدأ مرحلة الضياع القسرية، فهو

يحمل في داخله روح النضج والتكامل مع الجنس الآخر، ولكنه يُجبَر على كبت هذه الطاقة ويُمنَع من ممارستها، بل ويُعاقب إذا أراد إظهارها، ولذلك فعليه أن (يضرب رأسه في الجدار) حتى يأذن له المجتمع بمزاولة النضج، ولكن الإذن لا يأتي إلا من بعد أن يتيه الإنسان في تطفلات التربويات (الغبية) على تربويات السماء المعطلة.

إن التخبطات السلوكية والفكرية التي تعيشها الأجيال اليوم إنما هي نتيجة ذلك التيه الذي حفر بصماته في شخصية الإنسان، إنه ضياع الأجيال في مركب حضارة التخلف الغربية التي نستوردها في الشرق بأفضل ما يكون متشرفين متباهين، والواقع أننا نصنع في أنفسنا وأبنائنا والأجيال القادمة روح العدوان وبواعث الانحراف الخفي منه والظاهر.

بعبارة أخرى أقول بأن إنسان اليوم يعيش في مطلع حياته كبتًا قسريًا يلعب الدور الأبرز والأهم في تشويه فكريًا وسلوكيًا، وهذا على المستوى المنهجي في التربويات الحديثة ولننتقل الآن إلى جانب آخر لا يقل في أهميته عن سابقه..

العلاقة بين العقول والأعمار:

تعمل السلوكيات التربوية اليوم في اتجاه القتال من أجل استنساخ فكر معين في أفراد المجتمع، ولذلك فإنها تلقائيًا تمارس سلبًا مباشرًا لشخصية الطفل منذ ولادته وحتى إنهائه بالضربة القاضية على رأس مرحلة الطفولة (الأمية)، وهذا جانبٌ من المأساة:

- إجبار الطفل (وخصوصاً في دول الشرق) على الأكل والنوم في أوقات محددة بحيث تتوافق مع راحة الآباء، فالمسألة ليست من أجل الطفل وإنما من أجل والديه.
- إجبار الطفل على لبس ما يروق لوالديه حتى لو لم يعجبه هو.

- إجبار الطفل على دخول الروضة في سن معين، وبذلك فهو يُجبَر على البقاء بعيدًا عن داره لمدة خمس ساعات يوميًا أو أكثر.
- إجبار الطفل على دخول المدارس النظامية عند سن معين وفي أوقات معينة.
- إجبار الطفل على الوقوف صباحًا في طوابير الصباح وتأدية تحية العلم.!!
- إجبار الطفل على فصل دراسي معين وإجباره على زملاء معينين.
- إجبار الطفل على مدرسين معينين.
- إجبار الطفل على دراسة مواد معينة.
- إجبار الطفل على امتحانات واختبارات دورية.
- إجبار الطفل على الخروج من المدرسة عند توقيت معين حتى لو كان يريد البقاء لمدة أطول.!!
- إجبار الطفل على أخذ الدواء في حال توعكه وبطريقة عسكرية مقززة. (تضع الأم يديه تحت فخذيها وتمسك بفكيه بين الإبهام والسبابه فيجبر على فتح فمه، لتقوم هي بتمرير الدواء والنفخ في وجهه حتى يبلعه إجبارًا وقهرًا).
- إجبار الطفل وخصوصًا الفتيات الصغار على تمشيط شعورهن عسكريًا وحتى لو كان صراخهن قد وصل إلى سابع جار.

هذه بعض الإجبارات الأساسية الغير قابلة للنقاش؛ لأنها وبكل بساطة أصبحت من أصول المناهج التربوية المسلَّم بها، بل وأصبحت مخالفتها تخلفاً و(خرابيط)!!

بعد رحلة الاستبداد التي يعيش الطفل كل مفاصلها مرغماً مجبرًا مقهورًا، يأتي المجتمع فيطالبه بصناعة قرار أو كتابة تاريخ، وهل هذا ممكن بعد أن مُسخت شخصيته داخل زنزانة تربويات استبدادية تقضبنتْ حول فطرته فسلبته أَعز ما يملك.. سلبته إنسانيته.

ينظر المجتمع إلى الطفل (الأمي) على أنه طفل لا يفقه ما يفقهه الكبار ولا يستوعب ما يستوعبون، والحق أنه لا مورد للمقارنة بين هذا وذاك سواء اختلفت الأعمار وتفاوتت أم لا.

إنّ الطفل عاقل تمامًا كما أن الكبير عاقل، كما وأن تمام عقل الطفل الذي يبلغ سنة واحدة لا يختلف أبدًا عن تمام عقل الرجل البالغ للأربعين، وهذا واقع حق بالنسبة والتناسب حيث إن العقل الذي يملكه الطفل تام بما يتناسب مع عمره، وليس من حق أحد أن يطالبه بغير ذلك، وهذا هو عين الحال الذي يعيشه الكبير، ولذلك فإن التعامل مع الطفل من حيث الطبيعة الفكرية ينبغي أن يكون بنفس المستوى الذي يُتعامل فيه مع الكبير، ولنأخذ المثال التالي لتقريب الصورة..

يعيش الطفل البالغ ثلاث سنوات من عمره مشكلة عدم تمكنه من الحصول على لعبة قد رآها يومًا عند ابن الجيران، ويعيش أبوه مشكلة عدم تمكنه من شراء بيت بقيمة نصف مليون دولار.

ينظر المجتمع إلى مشكلة الأب على أنها مشكلة اجتماعية لابد من مناقشتها في البرلمان الوطني لأنها مشكلة يعاني منها الكثير من المواطنين، أما مشكلة الطفل فلا يعيرها أحدٌ أي اهتمام فهي ليست إلا مشكلة بسيطة لا تُرى.

في الواقع أن المشكلتين بمستوىً واحد من الأهمية بالنظر إلى إنسان كل واحدة منهما، فقضية اللعبة بالنسبة للطفل لها من الأهمية ما لقضية البيت بالنسبة للأب، وبالرغم من ذلك يتحرك المجتمع لمعالجة قضية البيت ولا يعطي أقل اهتمام لقضية اللعبة، والنتيجة أن المحللين وصُنّاع القرار لا يتمكنون من حل قضية البيت لأن أحدًا لم يفكر في حل مشكلة اللعبة التي عانوها عندما كانوا أطفالاً، فتأمل جيداً يرحمك الله..

إنه تدمير تربوي على مستوًى عال جدًا من الجودة، ولذلك نرى بأن المجتمع يتقدم تقدمًا رائعًا وانسيابيًا في اتجاه الانحدار الإنساني دون أن يجد أدنى مقاومة من أحد، والسبب هو أن أحدًا لم يفكر في حل مشكلة (اللعبة).

تطبيق القياس:

تذكير بالكبرى: كل ما يؤثر في تحقيق دولة الخلافة الإلهية بموازينها المقررة ويحقق التوازن المعنوي والمادي في هذه الأرض فهو علم نوري، وما خلافه فهو علم ظلامي.

تتجه المناهج والأساليب التربوية -كما تقدم- نحو تضييع قوة الإنسانية وحرقها تحت فوهة الإدارة العالمية لهذه الأرض، ولذلك غابت قوى التطلع لإقامة دولة الخلافة الإلهية، فتربويات العصر تسير في الاتجاه المعاكس لها أصلاً، لذا فإن النتيجة المنتهى إليها تفيد أن علم التربية الذي ينتشر ويمارَس اليوم هو علم ظلامي لابد من معالجته بعلم التربية السماوي.

الحل:

حتى لا تشتبه الأمور على بعض الأذهان أشير أولاً إلى أن الإلزام بنظام معين من المفترض أن يكون على مستويين، أولها مستوى الإلزام التشريعي، وهو حق للشارع فقط بنص أو طريق مُجاز يوصل إليه، أما الثاني فهو الإلزام بعقد مشروط بالتراضي بين طرفيه، وفي غيرهما لا حق لأحد بإلزام غيره تحت أي عنوان من العناوين.

إنّ المستوى الأول واضح في الأحكام الشرعية والحقوق التي جعلها الله تعالى بين الناس بحكم العلاقات التي تنشأ بينهم، أما الثاني فمن قبيل أن يفتح شخص مدرسة -مثلاً- ويضع لها قوانين معينة يلتزم بها كل من يلتحق بالمدرسة، فإن هذا الشخص لم يلزم أحدًا بالدخول في مدرسته، ولكنه وبحكم عقد واضح يلزم الداخل بالقوانين، وهذا لا علاقة له بما قدمنا من أساليب القهر والإجبار وسلب الحريات التي تمارَس على الإنسان منذ مولده وحتى يكون محاربًا للإنسانية بعنوان الإنسانية.!!

بعد هذا التوضيح نبدأ ببيان معالم علم التربية المُصاغ بريشة إسلامنا العظيم..

أول حقيقة يسجلها إسلام النور هي ما جاء عن أبي عبد الله عليه السلام: "ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه"[١]، فعلينا أن نعي جيدًا لو خلي فيما بين الطفل وفطرته لما مال عن دين الحق إلا أن يكون شقيًا –والعياذ بالله– من أبواب أخرى كباب انعقاد النطفة على الحرام أو تغذيته على الباطل أو ماشابه، أما إذا كان مستقيم التكوين فلا شك في أن المنهج التربوي لأهل البيت عليهم السلام يؤتي أُكُلَه على ما أراد الله سبحانه وتعالى، ولو دققنا في هذا المنهج النوري لرأينا كيف أن التربويات المستحدثة المصطنعة قد وصلت بتطفلها وتجاسرها إلى المستوى الذي تعاكس وتعاند فيه منهج السماء بدعم ومباركة منَّا!!

يقول أبو عبد الله الصادق عليه السلام: "دع ابنك يلعب سبع سنين، وألزمه نفسك سبعاً، فإن أفلح وإلا فإنه ممن لا خير فيه"[٢].

وعنه عليه السلام: "الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلم الكتاب سبع سنين، ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين"[٣].

نلاحظ جليًا أن قانون السبع سنين الأولى من حياة الإنسان يقضي بافتراض أن يكون المربي الرئيس هو الفطرة، وليس الأب أو الأم أو أي أحد غيرهما إلا من باب استنطاقها دون أي ضغط أو إلقاءات أو إيحاءات من أي نوع، فهي لا تحتاج لغير المداراة والرعاية لا غير، كما وأن قوله عليه السلام: (دع) يعني وبشكل مباشر أن لا يُعارَض الطفل بما يكره ولا يعاكَس بما ينفر منه.. فلندقق في التالي:

عندما يصدر فعلٌ ما من الطفل كالبكاء أو الصراخ أو أن يكسر شيئاً ولم يكن مريضاً أو يعاني من مكروه فلا شك في أن ثمة ما يدفعه لهذا التصرف، وهذا الدافع موافقٌ جداً لعقليته وظرفه الفكري، لذلك فهو لا يفهم معارضة الغير له إلا أنه أمر غير مقبول، ولكنه لا يتمكن من استيعاب عدم مقبوليته عندهم وهذا ما يؤثر

١ – من لا يحضره الفقيه – الشيخ الصدوق – ج ٢ – ص ٤٩

٢ – الكافي – الشيخ الكليني – ج ٦ – ص ٤٦

٣ – المصدر السابق

سلبًا ويوجه نحو متاهات التشويش والضياع، لذا فإن فترة السبع سنوات الأولى هي فترة رعاية ومداراة وتخلية بين الطفل وفطرته من جهة، ومن جهة أخرى فهي في حاجة للصبر وسعة صدر من الآباء والمحيطين، وهذا لا يتأتى إلا بفهم لمعنى هذه السنوات السبع الأولى من حيث تعقلات الطفل وتفكيره.

إنّ الطفل في سنواته السبع الأولى لا يحتاج لا إلى روضة ولا إلى مدرسة، ولكنه في أمس الحاجة لصدر أمه الراعي لفطرته، وهذا ما يُحرم منه بتربويات العالم الجديد.

عندما يُسَلَّمُ الطفلُ لفطرة الله تعالى ويُراعى ويُدارى عن رياح وميكروبات الحياة الشيطانية فإنه في هذه المرحلة العمرية يُكَوِّنُ الوعاءَ الأنسب لتلقي مقومات الترقي والتي تنطلق عادة عند نهاية السبع الأولى، وكذلك يوجه إسلامنا العظيم الآباء إلى أن يلزموا أبناءهم أنفسهم للسبع الثانية حيث الاستعداد للأخذ من تجاربهم والاستفادة من توجيهاتهم والاستقواء بخلاصة تجاربهم.

تقرر السماء أن الإنسان إذا خُلّي بينه وبين فطرته في السبع سنين الأولى، فإنه يدخل مرحلة الاستعداد للرجولة والنضوج مع بداية السبع الثانية التي ما إن تنتهي حتى يكون الإنسان قد بدأ أولى خطواته الحقيقية في معترك الحياة بثبات واتزان، وهو النتيجة الطبيعية لأربعة عشر سنة أعدته في تربويات أهل البيت عليهم السلام.

يحفظ الإسلام حق الطفل في الاستقلال الشخصي حتى وهو في المهد، فيلزم من يتسبب في أذاه الجسدي فدية لا يخرج من ذنبه إلا بأدائها، ومن جهة أخرى نرى بالغ الاهتمام بإنسانية الطفل على مستوى إبعاد الإلقاءات الحيوانية عنه، وهذا مما يشير إليه الإمام الصادق عليه السلام في قوله: "يفرق بين الغلمان والنساء في المضاجع إذا بلغوا عشر سنين"[1]. إذ أن الطفل وبعد تجاوزه السبع الأولى من المفترض أن يكون متوجهاً بحسب فطرته لصقل وعائه العلمي والمحافظة عليه قابلاً لتلقي المعارف واكتساب الحكمة، هذا وهو في هذه المرحلة من السبع الثانية يكون في منتصف الطريق نحو منعطف البلوغ الذي يحتاج إلى هدوء واستقرار قبل بلوغه، وكيف التوفر عليهما وهو ينام مع النساء؟

١ – المصدر السابق

من المفترض تربويًا حسب الرؤية الإسلامية الحقة أن يكون الإنسان على مدارج التلقي التكاملي لشخصيته ابتداءً من منطقة البلوغ، فهو في الواقع لا يحتاج إلى علم بالمعنى المتعارف قبل هذه المرحلة، ولكنه يحتاج إلى ما يوجه ويقنن ما يتلقى من علوم بعدها، ولذلك اهتم الإسلام بتهيئة الإنسان في مرحلة الأربعة عشر سنة الأولى حتى يكون قادرًا على استيعاب و وزن وتقعيد ما يتلقى من علوم وتجارب وسلوكيات بحسب ما أسست إليه الفطرة المودَعة فيه سماويًا.

إنّ التمسك بهذه التأسيسات الإسلامية يعني رفد المجتمع الإنساني بطاقاتٍ معطاءة لا يُخاف عليها من ضياع أو تفلت، بل وأكثر من ذلك أن هذه النماذج الإسلامية النورية لو أنها تحققت لما كان التقدم العلمي الحاصل اليوم تقدمًا في نظرها، لأن الصفاء الروحي والنقاء الفكري لها يؤهل الإنسانية لتجاوز ما حقق اليوم من تقدم بمراحل ومراحل؛ حيث إن الذي أنجز في هذا الزمان كان بعناية مع وجود هذا الكم الهائل من الفساد والضلال والكفر الذي لا يُحتمل لولا رحمة الله تعالى، فكيف بالحال لو انفتحت الروح الإنسانية بعالي الأخلاقيات وسامي السلوكيات على نور السماء وضيائها؟ إنه التحليق في آفاق العلم والمعرفة التي لا يحدّها إلا النور الأعلى الممنوع علينا. فتأمل جيداً.

هذا هو الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[1].

فقضية الخيرات الإلهية معلقة على قوة الإيمان ورسوخ التقوى وتفعيل الكتاب السماوي في الحياة سلوكًا وتربويًا، وهذا ما يتحقق وعاؤه في الأربعة عشر سنة الأولى من عمر الإنسان.

فالحل حسب التصور الإسلامي الدقيق يكمن في الرجوع إلى المناهج التربوية لأهل البيت عليهم السلام وعدم الانبهار بما يردنا من الشرق والغرب وإن كان موافقًا

١ - سورة المائدة ٦٥ - ٦٦

لاعوجاج العصر الذي تراه عيون الممسوخات عدلاً مستقيماً.

نحتاج حاجةً ماسّةً إلى فهم الاستقلالية الشخصية للإنسان فهماً دقيقًا ليفتضح مسلك الاستعباد المغلف الذي نمارسه في حياتنا مع الأبناء وبين الأزواج وفي الوظائف والأسواق تحت عناوين برّاقة من قبيل الأصول التربوية والتقدم في مناهج التعليم، والحق أنها أبعد ما تكون عنها.

من الراجح جدًا إن لم يكن من المؤكد أن هذا الطرح وبالرغم من أنه يستند إلى منهج المعصومين عليهم السلام إلا أنه سوف يواجَه بالرفض المباشر تارة، والمبرر بتغير الزمان وعدم ملائمة ما كان آنذاك لما نحن فيه وعليه اليوم تارةً أخرى، وهذا الكلام مردود بأن الوقائع رهينة ظروفها، فإذا توفرت الظروف وقع موضوعها حتماً، وهذا يعني أن الزمان هو الزمان، ولكن وقائعه اختلفت لعدم السعي في اتجاه توفير ظروفها الموضوعية، ومثال ذلك أننا لو أردنا اليوم أو أمس أو قبل ألف سنة تحقيق الظهور المقدس لمولانا صاحب الأمر الإمام المهدي المنتظر (أرواحنا فداه) فليس من شيء علينا فعله غير توفير الظرف الموضوعي الذي تلازمه إشراقة الظهور، وهكذا لو أردنا لأحد أبنائنا النجاح في دراسته بتفوق مع مرتبة الشرف كان من اللازم توفير ظرف هذا النجاح الذي لا يتبدل في ماهيته سواء كنا في القرن العشرين من الميلاد أو في القرن الأول منه.

إن تحقيق الاستقامة على خط أهل البيت عليهم السلام معلق على تحقيق الظرف الموضوعي وفي طليعة قائمته مفهوم التوعية وضرورة الفهم الصحيح للفكر العتروي النوري، وهذا ما يسمى بالتوعية التي ما إن تتوفر في الفكر والسلوك حتى يتحول المجتمع إلى كتلة نشاط متحركة في اتجاه إقامة دولة الخلافة الإلهية، فالقضية قضية فكر فسلوك فممارسة.

إن العودة بالمجتمع إلى حيث ما أراد الله تعالى ليس بالأمر الممتنع أو المتعذر، ولكنه رهين التخلص من فايروسات الدمار المستوردة في صناديق ثقافة الغرب المتآمر.

علم العلاقة الزوجية

الزواج علاقة ترفع الأجنبية بين الرجل والمرأة فتتحول الأحكام التابعة لها من الحرمة إلى الحلية، وهذه العلاقة يحققها عقد يكون فيه الإيجاب من جهة المرأة والقبول من جهة الرجل، وهو ما يعرف في إسلامنا العظيم بعقد النكاح الذي من المفترض أن يكون الأصل فيه هو الاستمرار مع الاستقرار حتى يستوفى الجانب الأهم منه وهو جانب التكامل الإنساني الذي يخلقه الالتقاء الموضوعي بين الرجل والمرأة، فهل الواقع يحكي الحالة؟

لنتأمل قليلاً في بعض الإحصاءات:

ذكرت وزارة العدل المصرية مؤخرًا أن هناك ما يقرب من ثلاثة عشر ألف قضية إثبات بنوة تنظر فيها المحاكم المصرية- أكثر من سبعين بالمئة منها نتيجة للزواج العرفي.[١]

تشير إحصائيات غير رسمية أيضًا إلى أن نسبة الزواج السري بين طالبات الجامعة تشكل ٦٪ من مجموع الطالبات المصريات.[٢]

لا توجد إحصائيات رسمية تتعلق بالزواج العرفي في سوريا، ويشير بعض المحامين إلى أنه من بين كل ألف زواج نظامي يجري تسجيله في المحاكم الشرعية

---

١ - BBC العربية (٢٣ يونيو ٢٠٠٥م) / http: //news.bbc.co.uk /hi /arabic /talking_point / newsid_4123000 /4123258.stm

أقول: إن هذه الإحصاءات هي ما ورد المحاكم المصرية، ولاشك بأن الخارج عن الملفات الرسمية أضعاف هذا الرقم بكثير، والأسباب أجلى من أن تذكر.

٢ - نفس المصدر

أقول: ينظر إلى هذه الإحصاءات على اعتبار محل تحققها، وهو المجتمع المصري الذي من المفترض أنه مجتمع محافظ ترتفع فيه منارات أكبر الجامعات الإسلامية وهي الأزهر الشريف. فتأمل جيدا.

يوجد خمسمائة عقد عرفي.[1]

تشير إحصائيات معهد الفتيات الجانحات في دمشق إلى أن ثلث الفتيات اللواتي يدخلن المعهد تكون تهمتهن هي الدعارة الناتجة عن إشكالية متعلقة بعقد زواج غير مثبت بالمحكمة الشرعية، والتي غالبًا ما يُجبَرن عليها من قبل الأهل أو يتم خطفهن وإجبارهن على قبول الزواج العرفي كغطاء لتشغيلهن بالدعارة.[2]

تحدث تقريرٌ (في الأردن) عن ظاهرة الزواج العرفي التي ازدادت في الفترة الأخيرة بشكل كبير وخلقت مشاكل لا حصر لها، لافتًا إلى أن الشباب يلجأون إلى الزواج العرفي السري بهدف إقامة علاقات جنسية فقط، وعدم مقدرة الشباب على تكاليف وأعباء الزواج بسبب سوء الأحوال الاقتصادية.[3]

لا يخفى أن الأرقام المتعلقة بمثل هذه الحالات عادةً ما تغيب عن الإعلام في دول الشرق المسلم، ولكن هذا القدر المدرج أعلاه يكشف عن تفشي الزواج السري من غير علم أحد في هذه المنطقة من الكرة الأرضية، وهو أمر لا بأس به إذا جاءت النوبة للحديث عن علاقات الغرام المتبوعة بالزنا التي يعتبرها السواد الأعظم من الشباب في دول الشرق أخف وطأة في النتائج والموقف أمام المجتمع مما يسمى بالزواج العرفي، ولنا أن نتساءل الآن:

لماذا يحدث هذا في دول مسلمة من المفترض أن تكون محافظة؟

فلنعرج الآن على بعض الإحصاءات عن العنف الواقع على الزوجات:

"(في المغرب) بحسب إحصاءات رسمية سجلت أقسام المراقبة والاستماع حوالي ١٧ ألف حالة عنف (ضد المرأة) هذه السنة، ٧٨,٨٪ منها اقترفها الأزواج.

يشكل العنف الجسدي النسبة العظمى من أنواع العنف الممارس ضد النساء، وكذلك العنف الاقتصادي، حيث تقدر نسبتهما على التوالي بـ ٣٧,٦٪

١ - العربية (٥ أغسطس ٢٠١٠م) http://www.alarabiya.net/articles/2010/03/22/103763.html

٢ - نفس المصدر

٣ - عين نيوز (١ يونيو ٢٠١٠م) http://ainnews.net/5335.html

و٧,٣٢٪، ويحتل العنف الجنسي المركز الثالث بنسبة ٧,١٠٪، ثم يأتي العنف القانوني في المركز الرابع بـ ١,١٠٪ والنفسي بنسبة ٨,٨٪..

تشير إحصاءات مراكز الاستماع إلى «تزايد حالات العنف الجسدي ضد الزوجات فحسب دراسة حديثة وفدت أكثر من ٥ آلاف امرأة على ١٠ مراكز للاستماع، يشتكين من الضرب والجرح والحرق والتهديد بالإيذاء ومحاولة القتل والمنع من النوم». وتؤكد الدراسة أن «العنف الجسدي الممارَس ضد الزوجات لا يستثني فئة عن فئة أخرى، حيث تعاني منه ربات البيوت والأمّيّات والفقيرات كما تعاني منه العاملات والمثقفات."[١]

(في مصر) ١٩ قتيلة و ١٠ مصابات و٨ حالات اغتصاب للسيدات، و تم تسجيل ٥٠٠ حالة تحرش جنسي بالفتيات وخطف ٣ أخريات، في حين تم تسجيل ٦ حالات انتحار نتيجة ممارسة العنف النفسي عليهن والذي لا يقل قسوة عن العنف الجسدي وهو الأمر الذي لم يلتفت اليه المجتمع حتى الأن. (إحصائية شهر واحد فقط، وهو يوليو ٢٠٠٩م).[٢]

٩٩٪ من العنف ضد النساء والأطفال مصدره الرجل، والإدمان والأمراض النفسية أبرز الأسباب.[٣]

"إحصاءات مرتكبي الاعتداءات ضد النساء في أمريكا: ثلاثة من بين أربعة معتدين هم من الأزواج: ٩٪ أزواج سابقين، ٣٥٪ أصدقاء، و٣٢٪ أصدقاء سابقين. إحصائية أخرى تدرس نسبة المعتدين، تبين أن الأزواج المطلقين أو المنفصلين عن زوجاتهم ارتكبوا ٧٩٪ من الاعتداءات بينما ارتكب الأزواج ٢١٪.

---

١ - شبكة المعلومات القانونية العربية (٢٠ يوليو ٢٠١٠ عن جريدة الاتحاد المغربية)

http: //www.eastlaws.com /News /News.aspx?ID=3509

٢ - الشروق الجديد (٢٦ أغسطس ٢٠٠٩م)

http: //www.shorouknews.com /ContentData.aspx?id=98916

٣ - أمان - المركز العربي للمصادر والمعلومات حول العنف ضد المرأة (١٩ أغسطس ٢٠٠٨م)

http: //www.amanjordan.org /a-news /wmview.php?ArtID=23822&page=3

وقد ثبت أن ضرب المرأة من قبل شريك ذكر لها، هو المصدر الوحيد، والأكثر انتشاراً، الذي يؤدي إلى جروح للمرأة. وهذا أكثر انتشاراً من حوادث السيارات والسلب والاغتصاب كلها مجتمعة.

وفي دراسة أخرى تبين أن امرأة واحدة من بين أربع نساء، يطلبن العناية الصحية من قبل طبيب العائلة، يُبلغن عن التعرض للاعتداء الجسماني من قبل شركائهن.

من مجموع النساء اللواتي سعين في طلب العناية الصحية من طبيب العائلة، أبلغ ٣٧٪ منهن على كونهن من الناجيات من حوادث التعذيب الجنسي في مرحلة الطفولة، و٢٩٪ أبلغن أنه تم الاعتداء عليهن جنسياً بعد البلوغ. والنساء اللواتي كن ضحية لمثل هذه الاعتداءات الجنسية أكثر اكتئاباً من اللواتي لم يتعرضن لها.

تم توزيع بيانات على مستوى الولايات شملت (٦٠٠٠) عائلة أمريكية ونتج عنها أن ٥٠٪ من الرجال الذين يعتدون بشكل مستمر على زوجاتهم، يعتدون أيضاً وبشكل مستمر على أطفالهم."[١]

تحكي الأرقامُ ظاهرًا سلوكيًا من جهة، ومن جهة أخرى تدل على وجوده كامنًا مستعدًا للظهور عند آخرين في أي لحظة يتوفر ظرفها، فما الذي يحدث، ولِمَ يحدث بهذا الكم المرعب؟

يحدث هذا بالرغم من أن (التأمينات بحسب عرف هذا الزمان) متوفرة جدًا، فمهر الزوجة لا يتوفر إلا بقرض من (البنك)، وشبكتها الذهب تحتاج إلى أوراق نقدية تجر بعضها البعض، ومن بعد ذلك تأتي آلاف الحفلة وصالتها، والفستان الأبيض وتصميمه، ومشغل الصوتيات (إن لم تكن فرقة حية)....، ومن ثم تأتي الشقة أو البيت والأثاث من غرفة نوم وطقم الكراسي وتجهيزات المطبخ والحمامات...

---

١ - مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية (١٦ يونيو ٢٠٠٢م)

http://www.asharqalarabi.org.uk/center/dirasat-alunf.htm

إنني أتساءل بكل جد: كيف لمن دفع كل هذه الأموال ثمنًا للزواج من (فلانة) أن يؤذيها نفسيًا أو جسديًا أو ما نحو ذلك؟

كيف لمن لاحق فتاة الموضة والمكياج أن يقسو عليها بعد الزواج؟

وكيف لمن حفت قدماه من البحث عن ذات الراتب العالي والوظيفة المضمونة أن يعنفها حتى ولو بكلمة؟

هذه حالة تعيشها مجتمعاتنا ولا يتمكن أحد من إنكارها، فحتى المتزوج حديثًا سرعان ما يقول: ليتني بقيت عازبًا ، وكذلك تقول المرأة المتزوجة حديثًا، وهذا يعني أن مراسم الزواج المستحدثة والتي لا يُتمكن منها إلا بشق الأنفس لم تفلح في المحافظة على الحياة الزوجية بمنئى عن مثل هذه المطبات المهلكة التي تذكرها الإحصاءات أعلاه.

أقول: إن لهذه المراسم دلالة واضحة جدًا على أن مفهوم الزواج غائب عنا بشكل مخيف ينذر بكوارث اجتماعية تطل من هناك، من وكر الشيطان، وهذا ما سوف أبينه تاليًا.

لقد تمكنت المسلسلات التلفزيونية والأفلام السينمائية من صياغة مفهوم جديد للعلاقة الزوجية رسخته في الذهن العام للمجتمع حتى ضاعت العقول عن حقيقة هذه العلاقة، بل أنها لا تخطر اليوم على بال؛ والسبب أن المسيطر في الأجواء هو علاقة تنطلق ببدلة سوداء أو كحلية مع ربطة عنق، أو ثوب خليجي وغترة وعقال مع عباءة (بشت) وبخور العود من أجود الأنواع، وفي مقابله فستان أبيض وتصفيف شعر ومكياج صارخ، وشبكة ذهبية وحناء في الأيدي والأرجل.

ومن بعد ذلك يأتي الكلام عن (عش الزوجية) وكيف أنهما (كالعصافير) يغردان بألحان الحب والغرام، فيحلم الزوج بذلك الوقت الذي يعود فيه من العمل ليجد زوجته وهي تنتظره لتعانقه مرحبة مبتسمة ليستلقي هو على الكرسي وتأتي هي تخفف ملابسه من عليه وتنزع جوربه من قدميه!!

إن هذه الحالة مطلوبة جدًا، ولكن بباعث آخر هو باعث الإنسان الرجل

والإنسان المرأة، لا بباعث الأنثى والرجل، ومن هنا يبدأ الكلام في تحديد المشكلة في مساحتها الطبيعية تمهيدًا لحلها فيما بعد.

الحاصل الآن أن مفهوم الزواج المنتشر بين الناس هو مفهوم الزواج الحيواني ولكنه مطوّر ومعالج بعض الشيء حتى يتلائم مع الوضع البشري، وهذا ما أنتج لنا عاهات سلوكية في المجتمع نشهدها اليوم بالوجدان، فالأسرة -كما يُقال- هي نواة المجتمع، فإذا فسدت النواة فسد المجتمع، وبالمثل فإن فساد المجتمع دليل على فساد النواة.

المشكلة:

يؤكد علماء النفس والتربية والاجتماع على ضرورة المحافظة على الأجواء التربوية بعيدة عن الإثارات الحادة والتوترات الرأسية، والحرص على تجديد المواقف الإيجابية الناجحة، والسبب في ذلك أن كل حدث أو واقعة مهما كانت بسيطة وربما تافهة فإنها تجد لنفسها مكانًا خاصًا وأبديًا في قسم من عقل الإنسان، وهو القسم الذي يطلق عليه: (العقل الباطن).

في العقل الباطن تتشكل السلوكيات التي تظهر في صورة قرارات في القسم الآخر من العقل وهو (الواعي)، ليترجمها الإنسان على شكل تصرفات وممارسات.

المشكلة في هذه الدائرة السلوكية أن الإنسان يفتقر إلى حارس يقف على باب (العقل الباطن) فيحافظ عليه من دخول صور مخالفة لمعايير يضعها نفس الإنسان، فهو مفتوحٌ دائمًا وليس في مقدوره رد أي شاردة أو واردة، وهذا معناه أن الكثير من السلوكيات قد تفرض نفسها على أخلاقيات الإنسان وممارساته بسبب عدم اجتنابه محالها.

بعد هذه المقدمة المختصرة عن العقل الباطن ودوره في رسم شخصية الفرد نرجع إلى صلب موضوعنا وهو قضية الزواج وثقافته، فنتساءل أولاً عن الصورة التي تتشكل في باطن الرجل عن المرأة، وفي باطن المرأة عن الرجل؟

قبل الإجابة على هذا السؤال ينبغي لنا الإشارة إلى أن ما يتشكل في العقل الباطن هو من الأمور التي لا يشعر بها الإنسان، ولكنها تظهر فيما بعد في صورة سلوك وممارسة. فتأمل جيداً.

إن أول ما يفكر فيه المُقبِـل على الزواج هو قضية المصاريف والتكاليف التي تنتظره، فحتى يتزوج عليه أن يجهز نفسه بشهادة راتب ونسخة من هويته حتى يتقدم إلى (البنك) بطلب قرض يغطي به تكاليف الزواج التي سوف يدفعها على أقساط قد تصل إلى خمس سنوات متواصلة، وبعدها من الأرجح أن يجدد القرض حتى يتمكن من مواصلة العيش في نفس المستوى الذي وضع نفسه فيه، هذا إذا لم يستقرض من (بنك) آخر أو يستلف من بعض الأصدقاء.

هذا في مقابل:

❊ مهر.

❊ فستان أبيض يليق بليلة الزفاف!!.

❊ شبكة عبارة عن طقم ذهب.

❊ حفلة عبارة عن (مشغل صوتيات + وجبة عشاء + حلويات للتوزيع + تصوير + إنارة ...)

❊ أغراض الضيفة وتوابعها.

وغيرها..

وفي الطرف الآخر نرى الزوجة في مقام المنتظِر لمن يحقق لها ذاك الذي طالما شهدته وشاهدته وسمعت عنه..

فستان أبيض ومكياج، ومشية بين وصيفات، وحفلة وناس يباركون لها ويظهرون حالة من الفرح على انغام ما يُدار من تسجيلات، و زفة في سيارة مزينة تجوب الشوارع، ومن بعد ذلك ليلة سينمائية في غرفة لها أجواؤها الخاصة!!

وقبل كل ذلك فهي تنتظر تلك الأيام التي يمر فيها الخطيب بصحبة والدته أو أخته ليذهبوا جميعا إلى الأسواق في رحلة شراء مستلزمات الزواج السابقة، وغيرها..

في العقل الباطن للرجل والمرأة تتشكل الصور التالية بكل قوة:

الرجل ينظر إلى المرأة على أنها مصدر للهم وثقل الدين كثمن لما تبحث عنه فطرته وهو الاستقرار والطمأنينة والسكن والمودة، وهي أمور من المفترض أنّ الله تعالى قد أتاحها وأباحها للإنسان من غير مقابل مادي!!

أما المرأة فتنظر إلى الرجل على أنه المحقق لأحلامها الدنيوية (السينمائية) في حين أنه من المفترض أن يكون شريكًا في رحلة التكامل الإنسانية!!

إن هذه الصور صورٌ تأزيمية تأخذ في التبلور على مستوى العقل الباطن مع ضغوطات الحياة من جهة وغياب أو تغييب ثقافة الزواج الصحيحة من جهة أخرى، حتى تأتي تلك اللحظة التي تبرز فيها على شكل سلوكيات وممارسات تفتك بأصل العلاقة الزوجية وفروعها.

تطبيق القياس:

تذكير بالكبرى: كل ما يؤثر في تحقيق دولة الخلافة الإلهية بموازينها المقررة ويحقق التوازن المعنوي والمادي في هذه الأرض فهو علم نوري، وما خلافه فهو علم ظلامي.

واضحٌ أن (علم الزواج) القائم اليوم هو علم ظلامي نشر في المجتمع حالة من التأزيمات الاجتماعية العويصة، والتي اضطرت الكثير من الجهات إلى فتح مكاتب ومؤسسات تُعنى فقط بقضايا التوجيه والاستشارة على أمل الخروج من المطبات التي تصنعها العلاقات الزوجية، وبالتالي فإن المجتمع الحالي عاجز عن السعي في اتجاه تحقيق دولة الخلافة الإلهية.

الحل:

ينطلق الحل من قول قرآني عظيم وهو: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

في هذه الآية الكريمة قضايا ارتكازية في غاية الأهمية، هي:

* اعتبر الله سبحانه وتعالى العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة آية من آياته.

*الزوجة قطعة معنوية من الرجل.

* الغاية من الزواج تتلخص في تحقيق ثلاث إنسانيات:

* السُكنى.

* المودة.

* الرحمة.

* فهم فلسفة الزواج دليل على قوة الفكر ورقيّه.

جلي أن كل هذه المطالب السامية لا علاقة لها لا من بعيد ولا من قريب على مستوى التحقق والانبعاث بمقدمات الزواج الأساسية التي تقوم عليها عقود الزواج والتي بينّاها قبلاً، بل أنّ التباين واضحٌ جدًا بين المذهبين حيث إن المراد من الزواج هو تحقيق الاستقرار النفسي، فالزواج من المفترض أن يحقق حالة روحية تتكامل في فلكها إنسانية الزوجين، أما الحاصل اليوم فلا إطار له غير الماديات والدنيويات التي لا تضمن نجاحًا معنويًا على الإطلاق.

فلنأخذ جولة في بعض الأحاديث العتروية، ولكن بشرط أن ننفتح عليها بقلوبنا وعقولنا بأن نجعلها هي الحاكمة على سلوكياتنا بعيدًا عن استدراكات توردنا مهالك الاجتهاد في قبال النصوص الصريحة..

قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «خير نسائكم أصبحهن وجهًا، وأقلهن مهرًا»[2].

---

١ - سورة الروم ٢١

٢ - مستدرك الوسائل - الميرزا النوري - ج ١٤ - ص ١٦١

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «خير نسائكم التي إن أنفقت أنفقت بمعروف، وإن أمسكت أمسكت بمعروف، وتلك من عمال الله، وعمال الله لا يخيب»[1].

وعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: "(خير نسائكم) التي إن غضبت أو غضب زوجها، تقول لزوجها: يدي في يدك لا أكتحل عيني بغمض حتى ترضى عني"[2].

وعن جعفر بن محمد عليهما السلام، أنه قال: "إذا تزوج الرجل المرأة لحسنها أو لمالها وُكِل إلى ذلك، وإن تزوجها لدينها وفضلها، رزقه الله الجمال والمال، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾»[3].

فقه الرضا عليه السلام: "إن خطب إليك رجل رضيت دينه وخلقه فزوجه ولا يمنعك فقره وفاقته، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾

وقال ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾»[4].

عن علي أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: "مِنْ يُمْنِ المرأة تيسير نكاحها، وتيسير رحمها"[5].

يركّز إسلامنا العظيم على التأصيل في بناء الأسرة الصالحة التي تساهم مباشرة في تحقيق الدولة الإلهية، وذلك بالتأسيس لفلسفة العلاقة الزوجية، وهي فيه علاقة روحية تقوم على البذل في سبيل تحقيق دعائم السُكنى والمودة والرحمة، وهي المقدمة الأقدس لمفهوم قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[6].

لاحظ هذا التصوير الرائع للعلاقة الزوجية والذي يتبناه القرآن الكريم، ومن ثم فكِّر في مقدماته المتناسقة مع سموّه، واحذر من منغصاته ونواقضه، سوف تجد

---

١ - نفس المصدر

٢ - نفس المصدر

٣ - مستدرك الوسائل - الميرزا النوري - ج ١٤ - ص ١٧٥

٤ - مستدرك الوسائل - الميرزا النوري - ج ١٤ - ص ١٨٨

٥ - مستدرك الوسائل - الميرزا النوري - ج ١٤ - ص ٢١٦

٦ - سورة البقرة ١٨٧

أنه في حالة عداء تكوينية مع النظرة المادية والتي هي –للأسف– غالبة ومسيطرة على مفهوم الزواج في عصرنا المشهود.

ينبغي للمرأة أن تستوعب قدرها الراقي الذي مَنَّ الله به عليها، كما وينبغي للرجل استيعاب مسألة في غاية الدقة، هي أن المرأة التي يعيش معها تحت عنوان العلاقة الزوجية كانت ولازالت تلتزم حالة الحياء مع أهلها من أم وأب وأخوة وأخوات، ولكنها وبمجرد إيجابها وقبولك رضَت بالتنازل عن أغلى ما تملك من حياء لك أنت فقط، وهذا تقديمٌ كبيرٌ جداً منها لو أنك تدرك بُعده الروحي لحافظت عليها محافظة الأم على جنينها، وهذا ما يحقق معنى اللباس الذي جاء تصويرًا قرآنيًا في غاية الروعة.

نخلص هنا إلى أن التمحور حول المادة هو في الحقيقة مقبرة العلاقة الزوجية، وفي أحسن الأحوال المجفف لمنابع الخير فيها.

هذا هو الحل السماوي الذي يقدمه الإسلام العظيم لبناء مجتمعٍ ثابتٍ على قيَمه، راسخٍ في معنوياته.

علم الصداقة والتآلف

أخذت قضية الصداقة مساحة مهمة من فكر علماء النفس وعلماء الأخلاق والاجتماع والفلاسفة منذ قرون بعيدة، حتى أن فيلسوف اليونان سقراط أفرد لها بحثًا خاصًا في كتابه (علم الأخلاق)، وتبعه في ذلك من جاء بعده من المفكرين البارزين في العالم.

لقد كان البحث ولا يزال يجري في إيجاد تعريف واضح للصداقة بعد أن زيّن التراث الاجتماعي للأمم قصصه بألوان زاهية من العلاقات الاجتماعية التي أعطاها إسم (الصداقة)، ممّا أثار عقول المفكرين وبعثها على بحث هذه القضية بالشكل الذي يحدها فتتميز في نظر الناس بالشكل الأنسب.

تمحورت نظرات الباحثين حول البُعد العاطفي الذي يربط بني الإنسان بعضهم ببعض، وحددوا الصداقة في مساحة اشتداده، وتتفرع عليه بواعث أخرى على تحقيق معنى الصداقة منها السياسية ومنها الاقتصادية ومنها الاجتماعية وما نحو ذلك، وهذا ما وجدتُهُ روحًا في تعريف آرسطو:

«يعرّف أرسطو الصداقة بأنها حد وسط بين خلقين، فالصديق هو الشخص الذي يعرف كيف يكون مقبولاً من الآخرين كما ينبغي، أما الشخص الذي يبالغ حتي يكون مقبولاً من الجميع للدرجة التي تجعله لا يعارض أي شيء فهو المسايِر، وعلى الضد فالشخص الذي لا يكترث بالقبول من الأخرين فهو الشرس والصَعب في المعيشة، ويضيف أرسطو إلى تعريف الصداقة إلى أنها عطف متبادل بين شخصين حيث يريد كل منهما الخير للأخر.

ويميز أرسطو بين ثلاثة أنواع للصداقة، وهي: صداقة المنفعة وصداقة اللذة

وصداقة الفضيلة، ويبيّن أنّ صداقة المنفعة هي صداقة عرضية تنقطع بانقطاع الفائدة، أما صداقة اللذة فتنعقد وتنحل بسهولة بعد إشباع اللذة أو تغير طبيعتها، وأما صداقة الفضيلة فهي أفضل صداقة وتقوم على أساس تشابه الفضيلة وهي الأكثر بقاءً، ويعتقد أرسطو أنّ الصداقة أكمل ما تكون عندما تتوافر لها الأسس الثلاثة (المنفعة-اللذة-الفضيلة)"[1].

من هنا كان الانطلاق الحقيقي، فذهب أغلب الباحثين إلى توجيه معنى الصداقة صوب الأخذ والعطاء، والفائدة والإفادة في محاولة لتفسيرها بما يتوافق والقوة الشهوية في الإنسان بجانبيها المقبول في أصله والمرفوض فيما زاد عليه، وبذلك فإنه لا ملزم لاستدامة الصداقة مع انتفاء الغرض منها وهو قضية الأخذ والعطاء، وأقصد بالأخذ والعطاء على مختلف المستويات سواء كانت عاطفية أو مادية أو غير ذلك.

حتى ما يعبّر عنها أرسطو بصداقة الفضيلة فهي أيضًا مبنية على مركزية (الأنا)، حيث إن الانجذاب في اثنين يتوقف فيها على تشابه في الفضيلة، ولذلك علّق بأنها (الأكثر بقاءً).

أمّا عند أهل الشرق بشكل عام والعرب على وجه الخصوص فقد تفنن الشعراء في تصويرات جمالية تصف الصداقة على أنها مطلب لا يُنال إلا بشق الأنفس، وأنه من القضايا المثالية الحالمة، ومن هذه النظرة تولدت نظرات مثل خيانة الصديق وصعوبتها وما إلى ذلك من قضايا برعت السينما العربية في إظهارها داخل سيناريوهات ملكت بها (شبابيك) دور العرض.

في الحديث عن علم (الصداقة والتآلف) سوف أسلك منهجًا عكسيًا في التقديم؛ حيث إن الحصول على إحصاءات حول الخيانات في الصداقة أو حول انهدام علاقات الصداقة أمر قد يكون متعسرًا بعض الشيء، ولذلك فالذي أبدأ به هو نظرة إسلامنا العظيم لمفهوم الصداقة ومن بعد ذلك إسقاطه على واقعنا

١ - عن (علم الأخلاق إلى نيقوماروس- أرسطو- الجزء الأول) / الموسوعة الحرة ويكيبيديا // :http ar.wikipedia.org

المعاش لنخلص في النهاية إلى إحدى نتيجتين، فإما أن يكون علم الصداقة اليوم علماً نوريًا أو أن يكون ظلاميًا.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "لا يكون الصديق صديقًا حتى يحفظ أخاه في ثلاث، في نكبته، وغيبته ووفاته"[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام لبعض أصحابه: "لا تطلع صديقك من سرِّكَ إلا على ما لو اطلع عليه عدوك لم يضرك، فإن الصديق قد يكون عدوًا يومًا ما"[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: "لا تكون الصداقة إلا بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منها فانسبه إلى الصداقة ومن لم يكن فيه شئ منها فلا تنسبه إلى شئ من الصداقة، فأولها أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة، والثاني أن يرى زينك زينه وشينك شينه، والثالثة أن لا تغيّره عليك ولاية ولا مال، والرابعة أن لا يمنعك شيئًا تناله مقدرته، والخامسة وهي تجمع هذه الخصال أن لا يسلمك عند النكبات"[3].

من مجموع هذه الأحاديث الشريفة نستخلص بعض القيم المهمة جدًا، أولها أن الصداقة إيمان يرتكز عليه المؤمن في علاقته مع مطلق المؤمنين، وهذا واضح من خصال الصديق التي هي في مقام الواجب على كل مؤمن ومؤمنة، فإذا كان الأمر هكذا أصبح المؤمن صديقًا لكل المؤمنين دون فرق.

لاحظ الشروط والخصال:

حفظ الآخر في غيبته ونكبته و وفاته.

استواء الظاهر والباطن.

حب الخير والصلاح للآخرين، وكره الشر لهم .

جعل طريق للماديات من أجل السيطرة على المعنويات.

١ – نهج البلاغة – خطب الإمام علي (ع) – ج ٤ – ص ٣٣

٢ – الأمالي – الشيخ الصدوق – ص ٧٦٧

٣ – الكافي – الشيخ الكليني – ج ٢ – ص ٦٣٩

العطاء والإيثار وإنكار الذات.

الثبات في المواقف والمواقع التي تحتاج إلى عون ومساندة.

لم يتحدث المعصومون عليهم السلام عن اشتراك في الفكر أو في الميول أو في الاهتمامات، ولكنهم ركزّوا جدًا على الأخلاقيات الإيمانية كما ترى، وبذلك نفهم أن الصداقة من منظور الإسلام العظيم هي مجموع الأخلاق الإيمانية في الجانب الاجتماعي، والظاهر أنها توجه نحو تحويل المجتمع من جماعات متفرقة إلى جماعة واحدة تسير على هَدْي من عنوان الصداقة.

ثم أن الإمام الصادق عليه السلام يشير إلى جانب مهم في هذه القضية الاجتماعية، وهو جانب المحافظة على الخصوصيات الشخصية وعدم إذاعتها لأحد حتى لو كان ممن ينسبون أنفسهم إلى فضيلة الصداقة، والسبب هو أن احتمالات الانقلاب واردة دائماً ما دام الشيطان (لعنه الله)، كيف لا وقد انقلبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أُحد أولاً، وفي سقيفة بني ساعدة حيث كان الانقلاب الأكبر ثانيًا، وهذا هو المولى تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1].

ما هو أثر الصداقة على المجتمع؟

عندما يُحَكَّمُ البُعد الإيماني في ثقافة المجتمع ويكون هو المعيار في التعاطي بين أفراده، فهذا يعني أن يتخلص الإنسان من ضغط المصالح الدنيوية وينطلق في أفق قول الإمام الصادق عليه السلام في جوابه على سؤال معلى بن خنيس: "ما حق المسلم على المسلم؟

فقال عليه السلام: سبع حقوق و واجبات ما منهن حق إلا وهو عليه واجب، إن ضيّع منها شيئًا خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه من نصيب.

١ – سورة آل عمران ١٤٤

قال معلى بن خنيس: جعلت فداك وما هي؟

قال عليه السلام: يا معلى إني عليك شفيق أخاف أن تضيّع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل.

قال: لا قوة إلا بالله.

قال عليه السلام: أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك، والحق الثاني أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع أمره، والحق الثالث أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك، والحق الرابع أن تكون عينه ودليله ومرآته، والحق الخامس أن لا تشبع ويجوع ولا تروى ويظمأ ولا تلبس ويعرى، والحق السادس أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم فواجبٌ أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهد فراشه، والحق السابع أن تبر قسمه وتجيب دعوته، وتَعُود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت أن له حاجة تبادره إلى قضائها ولا تلجأه أن يسألكها ولكن تبادره مبادرة، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك"[1].

إنّ الأثر المترتب على هذا المستوى الراقي في التعامل بين المؤمنين هو الدال على تحقق المعنى الصحيح للصداقة من عدمه، فإذا كان لمفهوم الصداقة وجود بين الناس نَعِمَ المجتمع في أجواء من الاستقرار والطمأنينة وراحة البال حيث إن العناوين الواردة في معنى الصداقة تقتضي قضايا أكّد عليها القرآن العظيم، مثل:

﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2]

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[3]

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[4]

إن هذا السلوك الذي يبعث الله تعالى المؤمنين عليه ويشوّقهم لاتخاذه سجيةً يتحركون في أفقها هو المقوّم الحقيقي لمعنى الصداقة، وحتى يرسخ الله تعالى هذا المطلب السماوي بما لا يدع مجالاً للالتفاف والتحوير، فإنه عزّ وجل قد أعطى

١ – الكافي – الشيخ الكليني – ج ٢ – ص ١٦٩

٢ – سورة التغابن ١٤

٣ – سورة آل عمران ١٩٩

٤ – سورة النور ٢٢

ولاية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل مؤمن ومؤمنة على الآخر، فقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الإحساس بالمسؤولية تجاه الإنسان بما هو إنسان، والمجتمع بما هو المحل لإقامة دولة الخلافة الإلهية قاعدة أصلية في رسم خارطة الطريق الحياتية على إطلاقها، ولذلك كان تحرُّك الإنسان المؤمن الحق في هذا الإطار دائماً وأبدًا، فهو يسأل نفسه قبل أي حركة إن كان في هذا الفعل رفعة للإنسان ومجتمع الهداية أم لا، فإذا كان الجواب نعم أقدم وبذل وضحى، وإن كان لا أحجم وانتهى.

السؤال الآن:

أيننا كمجتمعات من هذه القيم العالية؟

إنْ كنا عليها فلازم ذلك انخفاضٌ كبيرٌ جدًا في نسبة التشاكي والتظالم في مراكز الشرطة والمحاكم، واضمحلال حالات الخصام والنزاع والقطيعة بين أفراد المجتمع وتياراته، وتلاشي قضايا الغيبة والنميمة وسوء الظن، ولكن الحال على العكس من ذلك، إذ أن المحاكم تضج، والعلاقات سرعان ما تنهدم، والغيبة والنميمة وسوء الظن من دعائم المهارة والفن والذكاء في العلاقات الإجتماعية لهذا الزمن الأغبر!!

ملخص القول، أن الصداقة إذا لم تنطلق من الإحساس بالمسؤولية تجاه الإنسان ومجتمع الخلافة الإلهية، فإنها سرعان ما تنحرف فتولد لنا عاهات أخلاقية تهدم أسس المجتمع الذي أراد الإسلام بناءه من خلال صداقة هي الأسمى بين العلاقات الاجتماعية.

القياس على الكبرى بين يديك، والحل أوضح من الشمس وأجلى من أمس، وأنت الحَكَم وبيدك صناعة الحدث.

---

١ – سورة التوبة ٧١

علم التدين

سواء كان الإسلام، أم كانت اليهودية أو النصرانية، ففي الأصل كلها أديان أُنزلت من السماء وكُلِّف بها رسل لنشرها ودعوة الناس إلى الله عن طريقها، فالمصدر واحد هو جهة القدس الإلهية، وهذا يعني أن مستوى التمسك بما نزل من السماء سواء كان صحيحًا مستقيمًا أو سقيمًا محرفًا ينبغي أن يكون عاليًا في أقصاه ما استطاع الإنسان؛ والسبب هو أن المكلف قاطع بأن المشرّع والموجه هو الله جلَّ جلاله.

في تلك القرون البعيدة ضرب الله سبحانه وتعالى لنا مثلاً، وهو فرعون حين تقيّح صائحًا: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[1]، وهذا بعد أن عاش مرحلة الدعوة إلى دين جديد يقضي بوجود خالق أعلى منه وحاكم عليه، وهنا بالتحديد ضاق صدره لمُلك مهدد بالزوال وسلطان تزعزعه دعوة الحق الجديدة.

في هذه الأجواء التي يضغط الشيطان فيها وفي أمثالها فرائسه من العباد كانت اللعبة الإبليسية وملخصها أن يجعل الإنسان من نفسه ندًا لله تبارك ذكره، بل ومحاربًا له، وهذه لعبة تبدأ خفية لا تلحظ إلا برحمة من الله تعالى ينالها المتقون -نسأل الله العلي القدير أن يجعلنا وإياكم منهم، إنه سميعٌ مجيب-.

بالنسبة لفرعون ومن تفرعن من بعده فإنها معلنة صريحة هي أنه لا إله فوق السلطة ولا رب غير الحكم، وأصحاب هذه الديانة الإبليسية يعلمون جيدًا رفض المؤمنين لهم وفضح الدين الحق لسرائرهم، ولذلك فإنهم لا يبدون رفضًا للدين كما رفض جدهم الأكبر فلقي ما لقي من ويل، ولكنهم يراقبون الثغرات التي يصنعها المتدينون في تدينهم فيصبوا فيها أحماضًا حارقةً تعمل بقوة على إذابة الدين في الصدور حتى يتوارثه من يأتي بعدهم مشوّهًا ممسوخًا.

١ - سورة النازعات ٢٤

فلنتأمل صُنع الشيطان في الكنيسة وكيف أنه قاد عليها حتى دمرها تدميرًا..

مع نهاية القرن الحادي عشر الميلادي ومطلع القرن الثاني عشر انتشرت في أوروبا الهرطقات[1] مما أثار مخاوف الكنيسة الكاثوليكية[2] على وجه التحديد، فهي الكنيسة الأعرق والأكثر تنظيماً، ولم تكن لتحتمل ظهور حركة الكاثار ذات الجذور الغنوصية، فهي حركة تعتمد تحرير العقول من قيود الكنيسة بالدعوة إلى مذهب المكاشفات والسلوك وما نحو ذلك، ولا شك في أن هذا مما يهدد قوة الكنيسة وسلطتها، فكان أن شُكِّلت محاكم التفتيش بعد أن اشتد عود (المهرطقين)، مما دعى الكنيسة إلى تحميل محاكم التفتيش تلك مهمة ملاحقة المخالفين لها ومحاكمتهم، وكان الأصل في العمل هو سَوْق المشتبه في سلوكهم العقائدي حتى لو كان الاشتباه بسيطًا جدًا، وبذلك تحولت الكنيسة إلى وحش كاسر لا يرحم أحدًا.

كان العاملون في محاكم التفتيش يُدخِلون المشتبه به إلى غرف التعذيب مع عين ناظرة إلى نتيجة واحدة لا يقبلون بغيرها، وهي اعترافه بذنبه، أما إذا لم يعترف أو اعترف ولكنهم لم يطمئنوا لتوبته أو اعترف وأصر على ماهو في نظرهم ذنب، فإنه يُلقى مباشرة في جبل من الأخشاب التي بدأت النار بالاستقواء عليها، وهكذا ينتهي حرقًا ليكون عبرةً لكل من يفكر في الخروج بعقله عن طريق الكنيسة، وقد قُتِل بهذه الطريقة عشرات الألوف من الرجال والنساء ومن ضمنهم العلماء والفلاسفة والحكماء!!

---

١ – الهرطقة: ويطلق عليها أيضا الزندقة (بالإنجليزية: heretic) هي تغير في عقيدة أو منظومة معتقدات مستقرة، و خاصة الدين، بإدخال معتقدات جديدة عليها أو إنكار أجزاء أساسية منها بما يجعلها بعد التغير غير متوافقة مع المعتقد المبدئي الذي نشأت فيه هذه الهرطقة. (http: / /ar.wikipedia.org)

٢ – الكنيسة الرومانية الكاثوليكية (باللاتينية: Ecclesia Catholica Romana) هي أكبر الكنائس المسيحية، رأسها هو البابا أسقف روما وبحسب تقليدها الكنسي خليفة بطرس تلميذ يسوع المسيح. لقبها الرسمي هو الكنيسة المقدسة الكاثوليكية والرسولية. مثلت هذه الكنيسة القوة الروحية الأساسية في تاريخ الحضارة الغربية، إلى جانب الأرثوذكسية الشرقية والبروتستانتية. تتبعها في الشرق كنائس عديدة في شركة كاملة معها تعرف بالكنائس الكاثوليكية الشرقية. على مر القرون طورت الكنيسة الكاثوليكية منظومة لاهوتية معقدة وثبتت بنية إدارية فريدة تحكمها البابوية أقدم ملكية مطلقة مستمرة في العالم. رأيسها الحالي هو البابا بينيدكتوس السادس عشر. (http: / /ar.wikipedia.org)

ضاقت الدنيا بجرائم محاكم التفتيش التي كانت تعطيها الكنيسة صبغة القداسة، فبدأت حركات التمرد تنشأ هنا وهناك حتى أخذت فكرة الفصل بين الكنيسة والدولة تتبلور بشكل منظم في أدمغة المفكرين وقادة التجمعات الثائرة، وهكذا حتى أصبحت هذه الثقافة هي السائدة اليوم خصوصًا بعدما آتت هذه الفكرة أُكُلها في أوروبا وأمريكا مع كم الإنجازات الهائل في مختلف الجهات، وقد بينا فيما سبق أنّ هذه الإنجازات إنجازات شيطانية لا ترقى إلى مستوى الفكر التديني لإسلامنا العظيم.

عود على بدء، أقول بأن أصل الفكرة الشيطانية هو الوصول بالناس إلى مرحلة يكرهون فيها الدين وينفرون من المتدينين، فكانت الخطة هي تحويل المسيحية إلى سيناريو لفيلم مرعب لا يُطاق، وهذا هو عين الذي يعيشه المسلمون مع حركات منها التطرفية المتشددة، ومنها التخريفية، ومنها الخزعبلية، ومنها المائعة، ومنها الرافضة لكل طرح جديد حتى لو كان موافقًا لأصول الدين، فكيف هو الحال اليوم؟

قبل استعراض الحالة التمزيقية بين أهل الشهادتين أقدم بالمقدمة التالية:

لقد سجلت حالة التطرف الفكري حضورًا قويًا في الساحات الاعتقادية منذ القدم، وبما أن كلامنا الآن عن المسلمين فمن منَّا لم يسمع عن الخوارج الذين لم يتركوا أحدًا من المسلمين إلا وكفّروه علنًا، فلا عليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام سلم من تكفيرهم ولا سلم معاوية، كما ولم يتركوا الحسن السبط عليه السلام، وما هادنوا أمويًا ولا عباسيًا؛ حيث إن مذهبهم يقوم على تكفير كل من يخالفهم حالهم حال الإدارة الأمريكية التي تدرج من لا يكون معها في قائمة المعادي مباشرة!!

هؤلاء الخوارج لم ينقطع تدوّدهم حتى اليوم بل هو ظاهر ربما بشكل أكبر مما كان عليه في بداياتهم؛ والسبب أنهم مدعومون منتعشون بملايين الدولارات ومليارتها مما دفعهم للرفع من وتيرة وقاحاتهم في تكفير كل من يبدي رأيًا مخالفًا لما يحملون من آراء.

مرَّ الخوارج بفترات ضعف ظنَّ معها الكثيرون بأنهم تلاشوا وانتهى خطرهم، ولكن هذا الضعف لا يكون إلا من أجل إعادة بناء أنفسهم من الداخل حتى يعيدوا الكرَّة التكفيرية من جديد، وهكذا استمر الحال حتى برزت الدولة البريطانية كقوة عاملية حاكمة شغلتها قضية المحافظة على كيانها صلبًا قويًا، ولذلك فإنهم في إدارة الدولة قرروا بعد نظر ودراسة التغلغل في أوساط الشعوب المستعمرة من قِبَلِهم حتى يتقنوا لغاتهم الفكرية فيأمنوا ثوائرهم، وعلى طريق هذا المخطط الاستعماري أوفد البريطانيون عشرة جواسيس على درجة عالية جدًا من التخصص كان منهم شخص يدعى (همفر).

يقول (همفر) في مذكراته: «أوفدتني وزارة المستعمرات عام (١٧١٠) إلى كل من مصر والعراق، وطهران، والحجاز، والأستانة، لأجمع المعلومات الكافية التي تعزز سبل تمزيقنا للمسلمين، ونشر السيطرة على بلاد الإسلام، وبعث في نفس الوقت تسعة آخرين من خيرة الموظفين لدى الوزارة ممن تكتمل فيهم الحيوية والنشاط والتحمس لسيطرة الحكومة إلى سائر الأجزاء للإمبراطورية، وسائر بلاد المسلمين، وقد زودتنا الوزارة بالمال الكافي والمعلومات اللازمة، والخرائط الممكنة، وأسماء الحكام والعلماء ورؤساء القبائل، ولم أنسَ كلمة السكرتير حين ودعنا بأسم المسيح وقال :(إن على نجاحكم يتوقف مستقبل بلادنا فأبدوا ما عندكم من طاقات للنجاح)»[1].

وجد (همفر) ضالته في البصرة عندما التقى أحد طلاب العلوم الدينية وكان عنده كامل الاستعداد للاستقلال ببعض الأفكار الخاصة والشاذة مع وجود دعم كبير من حالة الغرور التي كان يعيشها -كما يذكر (همفر) في مذكراته-، فكان هذا الشاب الثغرة التي وجدها (همفر) هي الأنسب لنسج خيوط الخطة والنفوذ إلى بؤر النزاعات من خلالها، وهذا ما حدث فعلاً عندما تمكن (همفر) من إعادة الروح (الخارجية) في بعض النفوس، فكان الامتداد اليوم فيما يسمى بالوهابية.

كرر الوهابيون سلوك الخوارج فأخذوا بتكفير الكل ولم يسلم من تعسفاتهم

١ - مذكرات مستر همفر ص١٢

أحد، وقد نال الشيعةُ منهم النصيب الأوفر من التكفير والاتهام بالابتداع والفسق وما نحو ذلك من أنواع التهم وأصنافها، ولا شك في أن مثل هذه الممارسات الهمجية هي مما تثير النفوس وتسجّر لنار الفتنة؛ حيث إن الشيعي يحتاج إلى الرد كي يبين الأكاذيب التي يحاول الوهابيون إلصاقها في دينه، وهكذا تدور طاحونة الأخذ والرد دونما وصول إلى غاية معينة غير إلقاء الحجج من جهة والانشغال (المبرر واقعًا) برد الشبهات، هذا الاستكبار العالمي يلعب لعبته بسرقة عقول الشباب والسيطرة عليهم بعد أن يتمكن منهم الملل من هذا الوضع الملغم بالفتن والنزاعات وكأن الدين الإسلامي دين التكفير والتفسيق.

وفي وسط دعاوى التسامح وأعمال الخير التي تدعو إليها الكنيسة والكنسيون يظهر الوهابيون في العراق وغيرها بموضة قطع الرؤوس وتفجير الأبرياء بكل برود و وقاحة، وباسم الدين أيضًا، هذا حتى تجرأ الرسام الدنماركي على قدسية رسول الله ﷺ بتصويره في الشكل الذي يُظهِر فهمه للإسلام والمسلمين بعد أن صدَّرت إليه زمر الوهابية هذه الثقافة المشوّهَة، فإن كان ولا بد من محاكمة أحد فلن يكون هو الرسام، ولكنه هذا الفكر الوهابي الممسوخ.

هذا على مستوى الحركة الوهابية التي هي امتداد حقيقي لحركة الخوارج، وهي كافية لإزهاق النفوس الإيمانية في صدور الشباب المسلم.

فلنضيّق الدائرة الآن ونأخذ جولة سريعة في داخل أتباع مذهب الحق..

نحن ثابتون على أصول أصيلة، هي: أنّ لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا ﷺ رسول الله، وأن عليًا عليه السلام ولي الله وخليفة رسول الله بالحق، وأن الأئمة من ولده عليهم السلام هم الخلفاء بأمر من الله سبحانه وتعالى.

هذا ما نجتمع عليه كشيعة إمامية لا نساوم على عقائدنا مهما كلف الأمر، ولكن صمودنا هذا لم يكن كافيًا للوقوف في وجه فتنة الأخبارية والأصولية، ثم أنه ضعف أكثر عن الوقوف في وجه فتنة ولاية الفقيه وشورى الفقهاء المراجع، وأخيرًا بدا تصدعه واضحًا في قبال فتنة المدارس والانتماءات المرجعية والفكرية،

هذا والحال أن من أصول الفكر الشيعي الانفتاح على الآخر واستيعابه مهما كان مختلفًا طالما أنه على أصول الشهادات الثلاث، وهذا هو الإمام الصادق عليه السلام يصرح بكل وضوح في الحادثة التالية:

«عن يعقوب بن الضحاك عن رجل من أصحابنا سراج وكان خادماً لأبي عبد الله عليه السلام قال : بعثني أبو عبد الله عليه السلام في حاجة وهو بالحيرة أنا وجماعة من مواليه قال: فانطلقنا فيها ثم رجعنا مغتمين. قال: وكان فراشي في الحائر الذي كنا فيه نزولاً فجئت وأنا بحال فرميت بنفسي، فبينا أنا كذلك إذا أنا بأبي عبد الله قد أقبل قال: فقال: قد أتيناك أو قال جئناك، فاستويت جالسًا وجلس على صدر فراشي فسألني عما بعثني له، فأخبرته فحمد الله، ثم جرى ذكر قوم فقلت: جعلت فداك، إنا نبرأ منهم، إنهم لا يقولون ما نقول.

فقال: يتولونا ولا يقولون ما تقولون تبرؤون منهم؟

قال: قلت: نعم.

قال: فهو ذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نبرأ منكم؟

قال: قلت: لا جعلت فداك.

قال: وهو ذا عند الله ما ليس عندنا، أفتراه أطرحنا؟

قال: قلت: لا والله جعلت فداك، ما نفعل؟

قال: فتولوهم ولا تبرؤوا منهم»[1].

في هذه الحادثة يقرر الإمام الصادق عليه السلام الولاية لأهل البيت عليهم السلام معيارًا للتولي، وهذه المفاهيم التي تسجلها الرواية لم تسلم أيضًا من ظلمة القلوب، إذ أن الآخذ بها في عرفهم يسمى (بتريًا)!!

هذه حالة لخط التدين المعاصر، ونعرّج الآن على حالة أخرى ليست أقل سوءًا من سابقتها، وهي قضة التخريف وتحويل الدين إلى كومات من رماد الأحلام

١ – بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٦٦ – ص ١٦١ – ١٦٤

والأساطير التي لا يمكن أن تمثل جانب إلزام حتى لصاحبها، هذا في الوقت الذي مَنَّ الله سبحانه وتعالى علينا بثقلين كان بهما كمال الدين وتمام النعمة فيهما الكفاية لبيان مفاهيم الدين وأصول التدين، ولكن البعض لا يسكنون عن الترويج لما لا حجية له بمبرر أن القرآن تحدث عن الحلم والرؤيا، وأهل البيت عليهم السلام وأكابر العلماء.

أقول: أما القرآن والأئمة عليهم السلام فهم جهات عُليا معصومة لا تفك الحجية عن كل ما يصدر عنهم، فالقياس عليهم في مثل هذه الموارد باطل في أصله وأساسه، أما أكابر العلماء فلا شك في أنهم حجة بيننا وبين الله تعالى في الأحكام الشرعية والآراء الفقهية، أما الالتزام بما ينقل عنهم من رؤيا وأحلام فيحتاج منهم إلى فتوى يلزمون بها المقلدين الأخذ بها، وهذا لا وجود له.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن للتمسك بهذا النوع من (المخدرات) الفكرية له مدلولات خطيرة جدًا أولها ضعف الفهم والاستيعاب بالرغم من قوة العلم والحفظ، فليس كل من حَفِظ عَلم، وليس كل من علم استوعب، وليس كل من استوعب فهم.

لاحظوا ماذا يقول الله عزّ وجل في قضية الدعوة إلى دينه العظيم، إنه يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١].

يبيّن الله تبارك ذكره في هذه الآية الكريمة أن منهج الدعوة يشتمل على أربع منطلقات منهجية أساسية، هي:

* الحكمة.
* الموعظة الحسنة.
* حُسْن المجادلة.
* التوكل على الله جلَّ شأنه.

١ - سورة النحل ١٢٥

أما الحكمة فهي إصابة الحق و وضع الشيء في موضعه، ولا حكمة كالقرآن وسيرة المعصومين عليهم السلام، والموعظة هي القول الذي ينفذ إلى القلب فيلينه ويطريه لدعوة الحق، وحسن المجادلة لا يتكون إلا بممارسة الدليل والبرهان، ولا شك في أن من يريد له الله الهداية فهو المهتدي، ومن تصّر نفسه على الضلال فلا هادي له، لذا كان التوكل على الله أمرًا عقلائيًا لا خلاف فيه.

لم أجد في هذه الآية الكريمة اعتماد الأحلام والقضايا التي لا تستند إلى دليل وبرهان في الدعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى، إلا أن البعض مُصِّر على تحويل مذهب الحق إلى حالة عاطفية وغير تعقلية، وهذا متحقق فعلاً في مساحات متفرقة من المجتمع، إذ أن المساجد التي تنفتح فيها القلوب والعقول على أفق الحق والبرهان خالية من المصلين، ومثلها ندوات الحوار العلمي والانتداء الثقافي، أما في مواكب اللطم وزفات المواليد فضجيج الشباب يملأ الخافقين!!

أنبه هنا إلى أنني من المؤيدين جدًا والداعمين لإحياء شعائر أهل البيت عليهم السلام بكل أشكالها، كما وأنني على عقيدة ثابتة راسخة في أن للبكاء على مصائب أهل البيت عليهم السلام جزيل الثواب وعظيم الأثر، إلا أنني معارضٌ جدًا وبكل قوة لما يختصر التدين في الحالة الإحيائية ويضمن للناس الجنة ورضا الله عز وجل بمجرد أن يتوجهوا لإحياء الشعائر الولائية، هذا ما أحاربه بثبات كثباتي في الدفاع عن نفس الشعائر.

لقد أرفزت لنا هذه الحالات المتردية ميوعة في مفهوم التدين وممارسته، فلأن الضمانات اليوم يوزعها خطباء ورواديد فإن الشاب لا يرى داعيًا للاستقامة على خط الالتزام الديني؛ حيث إن الجنة التي أعدها الله تعالى للمتقين أصبحت منه على مرمى لطمة أو (صفقة)، وحتى لا ينفر من المجالس تعالت الأصوات المنادية بعدم الضغط على الشباب وتركهم ماداموا يملؤون الحسينيات، فهو على أية حال أفضل من ذهابهم إلى الحانات ومجالس اللهو والفجور، والحال أن الكثير منهم يجمعون بين الساحتين، فهم ضامنون للجنة على لسان فلان وعلان بمجرد أن يصرخ باسم أحد المعصومين عليهم السلام!!

إن لأجواء التمييع هذه تبعات أخرى، منها أن الذي يتبنى ويصرح بما أكتب الآن يعد متجرًا ولا شك فَي أنه معاد ومحارب لأهل البيت (عليهم السلام)، وبالتالي فهو مطالب بأن يقضي عمره فٍي القَسَم لهم بأنه على خط الولاية ويؤمن بكل ثوابت الشيعة الإمامية وكثير من القناعات التي هم أنفسهم عليها.. ولكن هيهات هيهات، فلا حياة لمن تنادي..

هل هذا هو دين السماء؟

هل من المعقول أن نكون قد تحولنا من السماحة والقوة والثبات وصفاء النفوس ونقاء القلوب الذي طالما نادى به المعصومون عليهم السلام إلى مثل هذه الجهالات التي أصبحت بغاوية شيطان من ثوابت المذهب، وأن الراد عليها راد على الله تعالى؟

هل من المعقول أن تكون قلوب المؤمنين قد بدأت بالذوبان في صدورهم لما يرون من المنكر فلا يقدرون على رده؟

لا شك في أنه ليس التدين الذي يساهم في البناء لدولة الخلافة الإلهية، والواقع شاهد بذلك، فلا حاجة للإطالة.

الحل:

ليس من حل أراه مجديًا غير الهدم ومن ثم البناء، أما محاولة الترميم فلا أجدها إلا تكرارًا لوقعات سابقة اجتُرت مئات المرات، وقرار الهدم هذا يحتاج إلى إقرار وقرار، فأما الإقرار فمفاده أننا في تخلف كبير عن الفهم الصحيح للإسلام العظيم، وبالتالي فالقرار أننا نحتاج حاجة ضرورية وماسّة إلى هدم وبناء.

إن لمثل هذا الإقرار والقرار معارضون كُثُر، وليتهم هكذا وحسب، ولكنهم سرعان ما ينتقلون من موقف المعارضة إلى موقف الثورة من أجل قتل الإقرار والقرار.. وباسم الدين أيضًا وتحت شعارات التدين والغيرة على المذهب، لذا فالذي أطرحه هنا هو البدء في بناء جيل جديد على بُعد زمني يستغرق جيلين أو أكثر، فالنتيجة لن تظهر إلا على الخمسين سنة القادمة إذا كان العمل من اليوم..

ثم لابد من التأسيس على أصل واضح لا لبس فيه، وهو الانفتاح المطمئن على القرآن والعترة وعدم الاكتراث بالأصوات المخوفة منهما وكأنهما -والعياذ بالله- وادٍ لضياع لمن يقترب منهما.. وهذا الانفتاح المطمئن يعتمد على أصل مهم هو عدم الالتفات إلى الموروث الثقافي إلا على سبيل أنه تاريخ قد يُستفاد منه، أما أن يُحكم على مفاصل المرحلة الجديدة فهذا مرفوض جملةً وتفصيلاً.

بذلك نستنقذ أنفسنا من علم ظلامي أهلكنا على مدى قرون من الزمن كما أهلك وحرق الكنيسة في القرون الوسطى من الميلاد، أما إذا تمسكنا بما نحن عليه الحال من تخلف وجمود فالمآل -في نظري- إلى فساد قد تتحول فيه مواكب (الزفة) إلى مواكب رقص و........

إن الإقدام على مثل هذا الإقرار والقرار يحتاج إلى مرجع أصل ثابت يكون هو الحاكم دائماً وأبداً.. إنه:

أولاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١].

فليس من شيء ينقذ الإنسان من غضب الله وسخطه غير طلب رضاه ورحمته، وهذا لا يتحقق إلا بالاستقامة على شرعته سبحانه وتعالى ومنهاجه، ولا شك في أنه الثبات على الأحكام الشرعية ثباتًا لا ليونة فيه ولا ميوعة، ومن ثم الجد والاجتهاد في التمرس على المستحبات واجتناب المكروهات والوقوف عند الشبهات، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «وإنما الأمور ثلاثة: أمر بين رشده فيتبع، وأمر بين غيه فيجتنب، وأمر مشكل يرد علمه إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حلال بيّن، وحرام بيّن، وشبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم، ثم قال في آخر الحديث: فان الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات»[٢].

١ - سورة الأحقاف ١٣ - ١٤

٢ - وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٧ - ص ١٥٧

وعليه فإنه لا يمكن الخلط بين الحق البيّن وبين ما فيه كلام وأخذ و رد، كما ولا شك في أن مقتضى الحكمة التمسك بالبينات الواضحات الجليات.

ثانيًا: ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[1] و﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[2] و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.[3]

لا طاعة إلا لله ولرسوله وللأطهار من آله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، أما الطاعة لغيرهم ففيما لا يعارض صريحهم، وصريحهم لا يقبل بتأويله وحمله على غير إفاداته الواضحة إلا ﴿الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[4].

ثالثًا: قال الباقر محمد بن علي (عليهما السلام) في وصية له لجابر الجعفي: «يا جابر، بلغ شيعتي عني السلام، وأعلمهم أنه لا قرابة بيننا وبين الله (عز وجل)، ولا يُتقرَّبُ إليه إلا بالطاعة له.

يا جابر، من أطاع الله وأحبنا فهو ولينا، ومن عصى الله لم ينفعه حبنا»[5].

لذا فإن موقع المعصومين عليهم السلام في طول أسماء الله وصفاته سبحانه وتعالى، فلا يقال أن حبهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) يغني عن الجد في الامتثال بالطاعات والانتهاء عن المعاصي والموبقات، كما وأن حب الآل لا يتوافق والتهاون في دين الله عزّ وجل، بل ينبغي أن يكون هو عين الاستقامة الواردة في قوله تعالى:

---

١ – سورة البقرة ١٧٠

٢ – سورة البقرة ١٦٦ – ١٦٧

٣ – سورة النساء ٥٩

٤ – سورة البقرة ١٦

٥ – الأمالي – الشيخ الطوسي – ص ٢٩٦

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾.

رابعًا: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «يا شيعة آل محمد، اعلموا أنه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه، ومن لم يحسن صحبة من صحبه، ومخالقة من خالقه، ومرافقة من رافقه، ومجاورة من جاوره، وممالحة من مالحه، يا شيعة آل محمد اتقوا الله ما استطعتم، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[١].

وهذا في المعاملة مع الناس، أوليس الإمام الباقر عليه السلام يقول: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[٢]، فإذا كانت هذه صفة المسلم، فكيف بالمؤمن إذًا؟

حتى يكتمل عقد اللؤلؤ علينا أن نتخذ:

العفو سجية، والتسامح طبيعة، والابتسامة روحًا، والتجاوز عن أخطاء الآخرين في حقنا وقودًا لعمل رسالي دؤوب..

كما وعلينا النفور بكل وجداننا من:

الغيبة بكل أشكالها، والنميمة بكل ألوانها، والكذب بكل أصنافه، والمخادعة بكل أنواعها..

من هذه القواعد المتينة الراسخة ينبغي أن ننطلق في البناء بعد هدم ما نحن عليه من تشوهات تدينية خطيرة.

هذا وأسأل الله تعالى أن يغيِّر سوء حالنا بحسن حاله.. إنه سميعٌ مجيب.

---

١ – الكافي – الشيخ الكليني – ج ٢ – ص ٦٣٧

٢ – الكافي – الشيخ الكليني – ج ٢ – ص ٢٣٤

بعد هذه الصفحات..

ختمٌ أُحصن به رسالة هذا الكتاب.. إنه ختم من رسول الله ﷺ ..

«أبو محمد الفضل بن شاذان في كتاب الغيبة: حدثنا عبد الرحمن بن أبي نجران (رضي الله عنه)، قال: حدثنا عاصم بن حميد قال: حدثنا أبو حمزة الثمالي، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن العباس قال:

حججنا مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، فأخذ بحلقه باب الكعبة وأقبل بوجهه علينا، فقال: «معاشر الناس، ألا أخبركم بأشراط الساعة؟

قالوا: بلى، يا رسول الله.

قال: من أشراط الساعة: إضاعة الصلوات، واتباع الشهوات، والميل مع الأهواء، وتعظيم المال، وبيع الدين بالدنيا.

فعندها يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الملح في الماء، مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيره.

فعندها يليهم أمراء جورة، ووزراء فسقة، وعرفاء ظلمة، وأمناء خونة، فيكون عندهم المنكر معروفا، والمعروف منكرا، ويؤتمن الخائن في ذلك الزمان، ويصدق الكاذب، ويكذب الصادق، وتتأمر النساء، وتشاور الإماء، ويعلو الصبيان على المنابر، ويكون الكذب عندهم ظرافة، فلعنة الله على الكاذب وإن كان مازحا، وأداء الزكاة أشد التعب عليهم خسرانا ومغرما عظيما، ويحقر الرجل والديه ويسبهما، ويبرأ صديقه، ويجالس عدوه، وتشارك المرأة زوجها في التجارة، ويكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء، ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية في بيت أهلها، وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، وتركبن ذوات الفروج

على السروج، وتزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس، وتحلى المصاحف، وتطول المنارات، وتكثر الصفوف، ويقل الاخلاص، ويؤمهم قوم يميلون إلى الدنيا، ويحبون الرئاسة الباطلة.

فعندها قلوب المؤمنين متباغضة، وألسنتهم مختلفة، وتحلى ذكور أمتي بالذهب، ويلبسون الحرير والديباج وجلود السمور، ويتعاملون بالرشوة والربا، ويضعون الدين ويرفعون الدنيا، ويكثر الطلاق والفراق، والشك والنفاق، ولن يضروا الله شيئاً.

وتظهر الكوبة والقينات والمعازف، والميل إلى أصحاب الطنابير والدفوف والمزامير، وسائر آلات اللهو.. ألا ومن أعان أحدا منهم بشئ من الدينار والدرهم والألبسة والأطعمة وغيرها، فكأنما زنى مع أمه سبعين مرة في جوف الكعبة.

فعندها يليهم أشرار أمتي، وتنتهك المحارم، وتكتسب المآثم، وتسلط الأشرار على الأخيار، ويتباهون في اللباس، ويستحسنون أصحاب الملاهي والزانيات.. فيكون المطر قيظا، ويغيظ الكرام غيظا، ويفشوا الكذب، وتظهر الحاجة، وتفشو الفاقة.

فعندها يكون أقوام يتعلمون القرآن لغير الله فيتخذونه مزامير، ويكون أقوام يتفقهون لغير الله، ويكثر أولاد الزنى، ويتغنون بالقرآن، فعليهم من أمتي لعنة الله.

وينكرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذل من الأمة، ويظهر قراؤهم وأئمتهم فيما بينهم التلاوم والعداوة، فأولئك يدعون في ملكوت السماوات والأرض الأرجاس والأنجاس.

وعندها يخشى الغني من الفقير أن يسأله، ويسأل الناس في محافلهم فلا يضع أحد في يده شيئا.

وعندها يتكلم من لم يكن متعلما.

فعندها ترفع البركة، ويمطرون في غير أوان المطر.

وإذا دخل الرجل السوق فلا يرى أهله إلا ذاما لربهم، هذا يقول: لم أبع، وهذا يقول: لم أربح شيئا.

فعندها يملكهم قوم إن تكلموا قتلوهم، وإن سكتوا استباحوهم. يسفكون دماءهم، ويملؤون قلوبهم رعبا، فلا يراهم أحد إلا خائفين مرعوبين.

فعندها يأتي قوم من المشرق وقوم من المغرب، فالويل لضعفاء أمتي منهم، والويل لهم من الله. لا يرحمون صغيرا، ولا يوقرون كبيرا، ولا يتجافون عن شئ. جثتهم جثة الآدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين...

فلم يلبثوا هناك إلا قليلا، حتى تخور الأرض خورة حتى يظن كل قوم أنها خارت في ناحيتهم، فيمكثون ما شاء الله، ثم يمكثون في مكثهم، فتلقي لهم الأرض أفلاذ كبدها، (قال : ذهبا وفضة) ثم أومأ بيده إلى الأساطين.. قال: فمثل هذا..

فيومئذ لا ينفع ذهب ولا فضة، ثم تطلع الشمس من مغربها..

معاشر الناس، إني راحل عن قريب ومنطلق إلى المغيب، فأودعكم وأوصيكم بوصية فاحفظوها.. إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا..

معاشر الناس إني منذر وعلي هاد، والعاقبة للمتقين، والحمد لله رب العالمين»[1].

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

محمد علي العلوي

٢٨ شعبان المعظم ١٤٣١هـ

البحرين

١ – مستدرك الوسائل – الميرزا النوري – ج ١١ – ص ٣٧٢ – ٣٧٤

الفهرس

تمهيد ٧

العلم النوري........................ ١٠

أولاً: ماهو مفهوم العلم في الإسلام؟ ١١

صفة العلم النوري: ١٢

صفة الحاملين للعلم النوري: ١٣

علم طلب العلم ١٦

علم الحرية والديمقراطية........................ ٢٢

علم التربية ٣٣

الواقع القائم فعلاً: ٣٤

العلاقة بين العقول والأعمار: ٣٧

علم العلاقة الزوجية........................ ٤٥

علم الصداقة والتآلف........................ ٥٦

ما هو أثر الصداقة على المجتمع؟ ٥٩

علم التدين ٦٢

للمؤلف:

- الغناء وتحديد المصير
- آه ياشهر رمضان
- رسالة الإصلاح من كربلاء
- تأملات واسقاطات قرآنية
- المحاور الأصيلة لنهضة إسلامية جليلة
- منة الرحمن في شهر رمضان
- وصايا لقمان لمن أراد الجنان
- المستخلص (خلاصة الحلقة الأولى من دروس أصول الفقه للشهيد الصدر "قدس سره")
- ضمير الشعائر
- حوار عقائدي
- القرار .. أكمل الفراغ
- نحو روح عالمية
- حروف التقوى (قيد التحضير للطباعة)
- محورية المسجد في العمل الرسالي (قيد التحضير للطباعة)
- إحداث التغيير.. استلهامات من حديث أشراط الساعة (قيد التحضير للطباعة)
- ليس منَّا .. قائمة الضياع (قيد التحضير للطباعة)
- عين الحقيقة .. رؤى وحلول (بين يديك)

للتواصل مع المؤلف

الموقع الالكتروني:www.alghadeer-voice.com /alawi

البريد الالكتروني: al_alawi14@live.com

تصميم وإخراج : البروج ميديا هاتف : ١٧٦٩٤٢٧١ ٩٧٣+ ٣٦٦١١٨٦٥ ٩٧٣+

صورة الغلاف: www.hstudio-bh.com